الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أمحمد بوقرة – بومرداس

كلية الحقوق – بودواو

فرع اللّغة العربية وآدابها

الضمنيات في الخطاب القرآني
آيات مختارة - أنموذجا-
مقاربة تداولية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللّغة العربية وآدابها
تخصص : لسانيات عامة

من إعداد الطالبة:

عقيلة تشوك

تحت إشراف الأستاذ الدكتور :

د- نور الدين لبصير

السنة الجامعية 2019/2018 م - 1440 هـ/1441 هـ

شكر وعرفان

بعد الحمد الثناء لله عزّ وجل امتنانًا وتعظيمًا جليلًا، أتقدّمُ بالشكرِ الخالصِ في هذه الوريقة الموجزة والعبارات البسيطة.

أشكر شكرًا كثيرًا وثناءً كبيرًا لأستاذي المشرف الدكتور نورالدين لبصير، الّذي لم يبخل لم يتوان علّي ولو بلحظة بالنصائح القيمة والفريدة، وتكبد مشاق وعناء القراءة وتتبع البحث من نقطة الانطلاق الأولى حتى خرج في حلّته النهائية برؤيته النيرة وبصيرته القوية.

فأسأل الله العظيم أن يجزيه بكلّ كلمة عشرات الحسنات وأنّ يوفقه الله لما يحبّه ويرضاه.

كما أشكر كل من قدّم يد العون والمساعدة،فما كان لي إلّا سبيل الدعاء لهم بالصحة والعافية وأنّ يحفظهم جميعًا.

آمين.

الإهداء

إلى من مهدت لي الطريق وفرشت الأرض لي زهورًا وياسمين فاح بعطرها.

وفتحت لي الأبواب، إلى من غمرتني بنبع الحنان وسهلت بدعوات سماوية إذا غبت، إلى جنّتي فوق الأرض ورفيقة العمر، أمّي الحبيبة إلى

من يعجز اللسان عن وصفها اللهم البسْها العافية حتى تهنأ بالمعيشة وأختم لها بالمغفرة حتى لا تضرها الذنوب.

إلى من شقا وتعب وسهر من أجل راحتي أنا حتى أهنئ أبي الغالي

وإلى كلّ اخوتي الأحباء والأعزاء

حفظهم الله جميعا

مقدّمة

مقدّمة

الحمد لله الّذي زَيّنَ قُلوب أوليائه بأنوارِ الفلاحِ والوِفَاقِ، والحمد لله الّذي جَعَل القُرْآن رَبِيعَ قُلُوبِنا ونورَ صُدُورِنا وضِيَاءَ دُرُوبِنا، ونَعُوذُ بالله من شُرُورِ أنْفُسِنَا ومن سَيّئاتِ أعْمالنا، من يهده الله فلا مُضِل له ومن يُضْلِلْ فلا هادي له، ونَعُوذُ بنُورِ وجهه الكريمِ من المُؤَاخَذَةِ والعقابِ، نَحْمَدُ الله الّذي خَلَقَ الإنسان علّمه البَيَان وفَضّلَهُ تَفْضِيلا عَظِيمًا على سائرِ مخْلوقاتِهِ جميعًا، وصَلّ وسلم على الحبيب المصطفى أهلِ المكارِمِ والفَضَائِلِ، خاتم الأنبياء والمرْسَلين محمد عليه أفضَل وأَزْكَى الصلواتِ والتَسْلِيم، أمّا بعد:

فقد منّ الله جلّ جلاله على الأمة الإسلامية بأعْظم تكريم وأشرفِ تنزيل، بلسَانٍ عربي مبين، كتابٌ محكمُ التنزِيلِ، معجز بلفظه ومعانيهِ صُنْعُهُ عجيب نوعُهُ فَرِيد مُنزل على من لا نبي بعده رَسُول كريم بواسِطة جبريلِ عليه السلام.

لهذا فتوالت الدراسات منذ أنّ أنزَلَ المولى هذا القُرْآن واصْطَفاه للنَاسِ كافة، والدراسات القُرْآنية والتَدَبُّرِ في مَعَانيهِ لم تُبْتَرْ بَعْدُ بحْثًا وتَأْلِيفًا من مختلفِ الجهاتِ سواء أكانت صوتية، بلاغية ونحوية...إلخ.

فجاء عنوان المذكِرة باسم" **الضمنيات في الخطاب القرآني آيات مختارة أنموذجا . مقاربة تداولية .**

أَعْدَدْتُ البحثَ لاعْتِبَاراتٍ منها: **اسْتِثْمارِ المناهج وآلياتِ التحليل التداولي في الخطاب القرآني، علاوة على تمكينِنا من فهمِ القرآن الكريم فهمًا دقِيقًا والتريثُ في اسْتِيعَابِ معَانيهِ، ولإبرَازِ أهم الجوانبِ الفنيّةِ والجماليَةِ للنصِ القُرْآنِي،**

ومن ثَمَّ وَضْعُ لَبِنَةٍ جدِيدَةٍ في هذا المجالِ الّذي تَعَاقَبَتْ عليه جُهُود العلماءِ لتوضيح جَانِبًا من جوانب عَظَمةِ علومِ القُرْآنِ.

فبعْدَ البحْثِ والتقصِي وجمعِ المادةِ اللُغَوِيَةِ اتَضَحَ لي أنّ موضُوعِي المُقَدَّمِ ليس الأول والوحيد الّذي سَلّطَ مَفَاتيح الأضْوَاءِ على الضمنياتِ من الجانبِ التداولي، بل هناك مذكرة ودراسة مقدمة لسنة الجامعية 2017/2016م بجامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر من إعداد الطالبة منيرة هبيتة مكناه **بالمبهمات والضمنياتِ في مقاماتِ الهمذاني**، إلّا أنّني ارْتَأَيْتُ لأنّ تكون مدونة البحثِ **القرآن الكريم** حتى نستوعب كلماته ونتدبّر في معانيه.

ومن هذا المقام انطلقت من طرحِ إشكالية مفادها: **هل المعاني الضمنية للقرآن الكريم كافية لتحديد مقاصدهِ وهل للمعاني الحرفية للنص القرْآني بالضَرورة الإلزامية معاني متضَمنةً فيه؟** وللإجابة عن هذه التساؤلات نطرح استفسارات جزئيَّة منها: **ماهي آليات التحليل السياقية وغير السياقِيّةِ الّتي تَعْملُ على تحديد المعنى؟ ماهي الضمنيات وفيما تتجَلّى أبرز دلالتها؟ وإلى أي مدى تسهم التداولية في فهم مقاصد الخطاب القُرْآني؟**

اعتمدتُ في معالجة حيثِيات ومُجْريات البحثِ المنهج **الوصفي التحليلي**، لأنّه المنهج المناسب لتقرير مسائلِ البحث والكفيلِ لتوضيحِ حقائقِهِ المخْتَلِفَةِ.

بُني البحثُ وشُيّدَ على هندسةٍ شكلية أبرزها: **مقدمة وتمهيد يليهما فصلان اثنان، يحوي الفصل الأوّل: دراسة نظرية خالِصَة تحت عنوان التداولية وأبرز مجالاتها وهذا الأخير مبني على مبحثين رئيسين الأوّل: ماهية التداولية وينقسم إلى أربعة فروعٍ هي: احاطة شاملة بالمفهوم المعجمي والاصْطِلَاحِي والثاني التداولية عند العلماء العرب ويليها اشارَةٌ إلى التداولية عند علماء الغربِ وخُتِم المبحث بعنصر التداخل المعرفي للتداولية مع العلوم الأخرى.**

وجاء المبحث الثاني تحت مسمّى: **بيّن دلالة المضْمَرِ وآلياتِ التحليلِ** وهذا بدوره يتجزأ إلى ثلاثة فروع ألّا وهي: **الضمنيات والاستلزام الحواري والأفعال الكلامية.**

وورد الفصل الثاني **تطبيقيا** اصطلحت على تسميته **بمقتضيات التضمينات ومجالات تطبيقها في الخطاب القرآني،** وينقسم هذا الأخير إلى ثلاثة مباحث جوهرية مطابقة لما جاء في الفصل النظري الأوّل صلب موضوعه **مجال تطبيق الضمنيات في الآياتِ** والثاني ورد باسم **الاسْتِلْزام الحواري الآيي القرآني،** أمّا فيما يخصُ المبحث الثالث يتجلّى في مجال **تطبيق الأفعال الكلاميةِ وأهم دلالتها في محكم التنزيل.** وأخِيرًا خُتِمَ البحثُ بحوصلة لخَصتُ فيها الجميع النقاط والنتائِجِ المُتَوصّل إليها في خاتمة مرفقا البحث بثبت لبعض **المصادر والمراجع** الّتي تمّ **الاعتماد** عليها، مرفقا كذلك **بفهرست الموضوعات.**

اعتمد في انجاز البحث على مجموعة من **مصادر ومراجع** لتدعيمِ وجهاتِ النظرِ ولتَوْضِيحِ الآراء المختلفة الّتي تبنّاها مجموعة الباحثين في هذه الدراسة منها: **محمود أحمد نحلة آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مسعود صحراوي التداولية عند علماء العرب، ريتا خاطر المضمر، وصابر الحباشة التداولية من أوستين إلى غوفمان، وطه عبد الرحمان اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ج براون، ج يول تحليل الخطاب...إلخ.**

ولفهم الآيي القرآني وتيْسِيرِ شَرْحها والتطبيق عليها اسْتَعَنْتُ بجملة من التفاسير منها: **وهبة مصطفى الزحيلي التفسير المنير والألوسي روح المعاني،** والتفسير الّذي حظي بعناية وافرة هو **للطاهر بن عاشور التحرير والتنوير ...إلخ.**

واجهتني صُعوبات عند الخوض في غمار البحث والتعَمُقِ فيه بشكل كبيرٍ لعلّ أبرزها عامل الوقت، بالإضافة إلى **صُعُوبَةِ المدونةِ** مما جعلني أسيرُ بحذَرٍ شَديدٍ، **والصُعوبة**

الكبيرة الّتي شكلت حاجزًا وعائِقًا بنسبة كبيرة **كثرة وتعددِ المصْطلحاتِ وتباينها من باحث ودارسٍ للمصْطلح الواحد** مما شَتَتَ أنظاري وجعل المهمة تزداد تعقيدًا، **وكثرة الإضرابات والأوضاع** التي تعيشها البلاد في الآونة الأخيرة مما منعني من التنقل وتصفح مختلف المكتبات الأخرى.

قد اسْتَفْرَغَتُ كلّ ما أوتيت من مجهودات لإخراجِ البحث في أحلى حلّةٍ وأبهى صورة في هذه الدراسة، فهذا لا يعني بلوغ درجة الكمالِ فكلّ شيءٌ إذا ما تمّ نقصان، وأسْألُ الله أنّ يوفقني لما يحبه ويرضاه.

وحسبنا الله نعم الوكيل.

تمهيد

تمهيد

أَحْدَثْت أَعْمَالُ اَلْلُغَوِي الشَهِير فرديناند دي سوسير(sausure) تَحَوُّلا هاما في تاريخية الفكر اللساني؛ وهذا مزامنة مع مطلع القرن العِشْرين، من خلال محاضراتهِ التي عُدَت بمثابة إعادة البناء والهيكلة لمرحلة مغايرة من التصورات والمفاهيم في مجال اللسانياتِ. فهذه الدراسات السوسورِية لها ركائز ومقومات مغايرة لما شهدتْهَا الساحة اللسانية في وقت ماض، وهذا بانتهاجها مناهِجَ وَأُسُسٍ جديدةٍ. فكانت نقطة الانطلاق من الدراسة الوصفيَة للُّغَة البشرية. حيّث يعرفُ اللُغة في كتابه علم اللُغَة العام بقوله: "**هُوَ نِظَامًا مِنَ اَلْإِشَارَاتِ اَلْتِي تُعَبِرُ عَنَاَلْأَفْكَارِ**"[1]فهذا هو القالب الجديد الذي أخرجتْ فيه اللغة، لم يكن شائعا من قَبْلُ. فاللسانيات هي الدراسة العلميَّةُ الموضوعيَّةُ للسان البشري دِرَاسَة علمية وفي بنية مغلقة دون الرجوع إلى اعتباراتٍ أخرى. لهذا نجدُ تَعَدُد التيارات والمدارس التي جاءت من بَعْدِهِ، وتأسست على انتقاداتَ نقائص هذا المذهب. لِهَذَا يُمْكِنُنَا اَلْقَوْلُ: إِنَّهُ توجد مدرسة بنيوية وصفية واحدة، والأخرى فُروع عنها أَيْ: لم تخرج عن نطاقهاإِلَّا في أمور ثانوية يمكن عدّها فهو اعتنى بالدراسة العلمية باعتبارِها نِظَامًا مِنَ اَلْعَنَاصِر والقيم. لهذا برزت عدَّة تيارات متنوعة أوَّلها حَلَقَةُ بْراغفدراستهم اقتصرت على تبني المنهج اَلْسُوسُورِي مع ادماجهم للمنهج التاريخي فَصَبُّوا اهتمامهم على اللُّغَةِ الشعريَّة. إضافة إلى الاهتمام بالمجالالصوتي والفونولوجي.

فكل مدرسةٍ نشأتْ وتَأسستْ على تقديم مجموعةٍ من الانتقاداتِ لسابقتها مع تركيزهَا وَتَبَنِّيهَا جَانِبٌ من جوانب اللغَة أَخَذَّتْ منها دراستها.

[1]فرديناند ديسوسور، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، مر: مالك يوسف المطلبي، دار الآفاق العربية، بغداد، العراق، 1985م، ص34,

بَيْدَ أنَّ هذه المدارس كلُّها لم تخرجْ عن المفاهيم التي استعملها أَبُو اَلْلِسَانِيَاتِ اَلْحَدِيثَةِ فأعماله لا تزال تشكلوتمثل أساس الدراسات اللسانيةِ، والمجالاتِ اللغويةِ في سَيْرورةٍ دائمةٍ وتغيّراتٍ مستمرَةٍ تماشيًا ومتطلبات العصرِ.

فالفضل الأوَّل والأخيرُ يعودُ إلى أبي اللسانياتِ، فهو الذي اسْتطاعَ أَنْ يُخْرِجَ البحوث وَاَلْدِرَاسَاتِ اَلْلُغَوِيَةِ وَيُجَرِّدَهَا مِنْ طَابِعِهَا القديم، ويتمثل في علم الأسلوبِ وتخليه عن المناهج السياقِيَة على سبيل المثال: المنهج التاريخي، والاجتماعي، والمنهج النفسي ...إلخ.فالنقطة التي قلبتْ الموازين ورجحت كفَّة الميزان هي ماجاءَ به العالم نعوم تشومسكي (Chomsky) صاحب المدرسة الغنية عن التعريف المدرسة اَلْتَوْلِيدِيَةَ اَلْتَحْوِيلِيَةَ حيْث قام هذا الأخِير بتأسيسِ نظريتِه على جملةٍ من المآخذ والعتاباتِ التي لم يكنْ يراها ملائمة وَمناسبة في المجال اللساني.

استحدث رَائِدُ هذا الاتجاه أمورًا ومصطلحات هامةٍ أغفلتها الدراسات الآنفةُ حسب وجهةِ نظره، فَهو لم يجعلْ اَلْلُّغَةَ كفايةً بل اعتبرها وسيلةً وليست قواعد جامدةٌ وهذا بناءً على مجموعةٍ من القواعد والأسس منها: الأداء الكلامي، الكفاية اللغوية، وَاَلْتَمْيِيزِ بَيْنَ اَلْبِنْيَةِ اَلْسَطْحِيَةِ والبنية العميقة. وكانَّ هذانتيجةً للدراسات المعمقة التي قامبها.

ومن هُنَا يُمْكِنُ اَلْقَوْلُ: إنَّ الدراساتَ لم تَبْقَ حبِيسةَ الفكر التوليدي التحويلي بل وَاصلتْ مسارها ولم تبق في خِضَمِّ بُحُوثِهِ؛ بل تطوَّرتْ وكل مذهبٍ رَكَّز على جَانبٍ أو زَاوِيَةٍ محددةٍ.

وَمَعَ هَذِهِ اَلْتَغَيُّرَاتِ لَا يُمْكِنُ اِغْفَالُ اَلْجُهُودَ اَلْتِي قَدَّمَتْهَا اَلْمَدْرَسَةَ اَلْسُوسُورِيَةَ مِنْ مَزَايَّا فِي اَلْدَرْسَ اَلْلِسَانِي اَلْحَدِيثِ.

الفصل الأوّل:

ماهية التداولية وأبرز ومجالاتها

اَلْفَصْلُ اَلْأَوَّلُ: مَاهِيَّةُ اَلْتَدَاوُلِيَةُ وَأَبْرَزُ مَجَالَاتِهَا

اَلْمَبْحَثْ اَلْأَوَّلْ: مَاهِيَّةُ اَلْتَدَاوُلِيَةُ.

1- اَلْمَفْهُومُ اَلْمُعْجَمِي وَاَلْاِصْطِلَاحِي لِلْتَدَاوُلِيَةِ.

1.1.1.لُغَةً:

وَرَدَّتْ عِدَّةَ تَعاريف(دول) فِي اَلْمَعَاجِمِ اَلْعَرَبِيَّةِ اَلْقَدِيمَةِ وَكُلُّهَا تَشْتَرِكُ فِي أَنَّ أَصْلَهَا يَعُودُ لِلْجِذْرِ اَلْثُلَاثِي (دَوَلَ) نَرْصُدُ مِنْهَا: مَا وَرَدَ فِي مُعْجَمِ لِسَانِ اَلْعَرَبِ لِاِبْنِ مَنْظُورِ: فِي بَابِ "دَوَلَ" "دَوَلَ، اَلْدَوْلَةُ وَاَلْدُوْلَةُ: اَلْعَقَبَةُ فِيَ اَلْمالِ وَاَلْحَرْبِ سَوَاءٌ؛ وَقِيلَ الدُوْلَةُ **بِالْضَمِ فِي اَلْمَالِ، وَاَلْدَوْلَةُ بِالْفَتْحِ فِي اَلْحَرْبِ، وَاَلْجَمْعُ دُوَلٌ وَدِوَلٌ وَدُولَاتْ، وَهَوَ مَا يُتَدَاوَلُ مِنَ اَلْمَالِ فَيَكُونُ لِقَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ، وَقَالَ اَلْزَّجَاجُ: اَلْدَوْلَةُ اِسْمُ اَلْشَيْءِ اَلْذِي يُتَدَاوَلُ، وَاَلْدَوْلَةُ اَلْفِعْلُ وَاَلْاِنْتِقَالُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَتَدَاوَلْنَا اَلْأَمْرَ، أَخَذْنَاهُ بِالدُّوْلِ وَاَلْمُدَاوَلَةِ.**"[1]

مَنْ خِلَالِ هَذَّا اَلْتَعْرِيفِ اَلْمُعْجَمِي نَفْهَمُ بِأَنَّ دَلَالَةِ اَلْدَوَلَ (اَلْتَدَاوُلِيَةَ) اَلْاِنْتِقَالُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَاَلْتَقَاسُمِ وَاَلْاِشْتِرَاكِ وَاَلْتَنَاوُبِ.

وَكَذَلِكَ عَرَّفَهُ ابن فارس فِي مَقَايِيسِ اَلْلُّغَةِ بِقَوْلِهِ: " (دَوَلَ) **اَلْدَالُ وَاَلْوَاوُ وَاَلْلَامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُّلَ عَلَى تَحَوُلِ شَيْءٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ آخَرٍ، وَاَلْآخَرُ يَدُّلُ عَلَى ضُعْفٍ وَاِسْتِرْخَاءٍ. قَالَ أَهْلُ اَلْلُّغَةِ: اَلْأَوَّلُ اِنْدَالُ اَلْقَوْمَ إِذَا تَحَوَّلُوا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ وَمِنْ هَذَا اَلْبَابِ تَدَاوَلَ اَلْقَوْمُ اَلْشَيْءَ، إِذاَ صَارِ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، واَلْدَّوْلَةُ وَاَلْدُوْلَةُ لُغَتَانِ، يُقَابِلُ اَلْدَوْلَةُ فِي اَلْمَالِ وَاَلْدُوْلَةُ فِي اَلْحَرْبِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَا بِذَلِكَ مِنْ قِيَاسِ اَلْبَابِ لِأَنَّهُ يَتَدَاوَلُونَهُ فَيَتَحَوّلُ مِنْ هَذَا إِلَى ذَاكَ إِلَى هَذَا**[2] فَمَعْنَى اَلْدَوْلَ عِنْدَ ابْنَ فَارِسْ لَا يَخْتَلِفُ عَمَا جَاءَ بِهِ ابن مَنْظُورْ فَدَلَالَتُهُ تَعْنِي اَلْاِنْتِقَالُ مِنْ حَالٍ إِلَى آخَرٍ.

---

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، د ط، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت، ص252.

[2] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون محمد هارون، دار الفكر، د ط، د ب، 1979م، ج2، ص314.

كَمَا نَجِدُ مَعْنَى آخَرْ عِنْدَ اَلْفَيْرُوزْ آبَادِي بِتَعْبِيرِهِ:" **وَاَلْدَوْلَةُ اِنْقِلَابِ اَلْزَمَانِ، وَاَلْعَقَبَةِ فِي اَلْمَالِ، وَيَضُمُ وَاَلْضَمُ فِيهِ، وَاَلْفَتْحُ فِي اَلْحَرْبِ، أَوْهُمَا سَوَاءٌ، ج دُوَلٌ مُثَلَثَةٌ وَهَذَا اَدَالَهُ وَتَدَاوَلُوهُ أَخَذُوهُ بِالْدَوْلِ وَدَوَالَيْكَ أَيْ: مُدَاوَلَةٌ عَلَى اَلْأَمْرِ، أَوْ تَدَاوَلُوهُ بَعْدَ تَدَاوُلٍ**".[1]
يُسْتَشَفُ مِنْ خِلَالِ هَذَا اَلْتَعْرِيفِ أَنَّهَا تَعْنِي اَلْأَخْذَ بِالْدَوْرِ وَاَلْتَنَاوُبِ أَيْ: مِنْ وَاحِدٍ إِلَى وَاحِدٍ آخَرٍ.

يُعَدَّ اَلْزَمَخْشَرِي كَذَّلِكَ مِنْ بَيْنِ اَلْلُّغَوِيِّينِ اَلْذِينَ أَشَارُوا إِلَى مَعْنَى جِذْرِ اَلْثُلَاثِي "دَوَلَ" فِي مُعْجَمِهِ أَسَاسُ اَلْبَلَاغَةِ بِقَوْلِهِ: "**دَوَلَ، دَالَتْ لَهُ اَلْدَوْلَةُ، وَدَالَتْ اَلْأَيَامِ بِكَذَا، وَأَدَالَ اللهُ بَنِي فُلَانَ مِنَ عَدُوِهِمْ: جَعَلَ اَلْكَرَةَ لَهُمْ عَلَيْهِ، وَعَنْ اَلْحَجَاجِ إِنَّ اَلْأَرْضَ سَتُدَالُ مِنَّا كَمَا أَدَلْنَا مِنْهَا وَفِي اَلْمَثَلِ "يُدَالُ اَلْبِقَاعُ كَمَا يُدَالُ مِنَ اَلْرِجال اَلْأَيَامُ فَالْدَهْرَ دَوَلَ، واللهُ يَدُولُ اَلْنَّاسَ مَرَّةً، لَهُمْ وَمَرَّةً عَلَيْهِمْ، وَاَلْدَهْرُ دَوَلَ وَعَقَبَ وَنَوَبَ، وَتَدَاوَلُوا اَلْشَيْءَ بَيْنَهُمْ، وَاَلْمَاشِي بَيْنَ قَدَمِهِ، يُرَاوِحُ بَيْنَهُمَا، وَتَقُولُ: دَوَالَيْكَ أَيْ: دَالَتْ لَكَ اَلْدَوْلَةُ كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةً.**"[2]

المُلَاحَظُ فِي جَمِيعِ هَذِهِ التَعْرِيفَاتِ السَالِفَةِ الذِكرِ للجِذْرِ الثُلَاثِي "دَوَلَ" تَشْتَرِكُ جَمِيعًا فِي مَفْهومٍ وَمَعْنَى وَاحِدٍ عِنْدَ اللُغَوِيينَ القُدَامَى عَلَى الرُغْمِ مِنْ اخْتِلَافِ الأَلْفَاظِ إِلّا أَنَّهَا كُلُهَا تَنْصَبُ فِي بَابٍ وَمَجَالٍ وَاحِدٍ يَتَمَثَلُ فِي: الاشْتِرَاكِ والتَنَاوُبِ والتَداولِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَمِنْ مَكَانٍ لِمَكَانٍ آخَرَ، أَيْ: بِمَعْنَى عَدَمِ الثَبَاتِ عَلَى حَالٍ وَاحِدٍ.

[1] مجد الدين بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، بيروت، لبنان، 2005، ص1000.

[2] أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، لبنان، د ت، ج1، ص،ص 337، 338.

2.1.1. اصطلاحا:

هُنَّاكَ تَعْرِيفَاتِ عِدَّةِ لِمُصْطَلَحِ اَلْتَدَاوُلِيَةِ اَلْذِّي يُقَابِلُهُ بِاللُّغَةِ اَلْأَجْنَبِيَّةِ pragmmatique مِنْهَا: "**عَمَدَ اَلْسِيمْيَائِي شَارْل موريسCharles Mauris إِلَى ادْرَاجِ اَلْتَقَابُلِ بَيْنَ كُلِّ مِنَ اَلْتَرْكِيبَاتِ (عَلَاقَةِ عَلَامَاتِ دَاخِلِ اَلْجُمْلَةِ) وَاَلْدَلَالِيَّاتِ (عَلَاقَةِ اَلْجُمَلِ بِحَالَاتِ اَلْأَشْيَّاءِ اَلْتِي تَدُّلُ عَلَيْهَا) وَاَلْتَدَاوُلِيَاتِ(عَلَاقَةِ اَلْجُمَلِ بِالمُتَلَفِظِينَ بِهَا وَاَلْمُؤَوَلِينَ لَهَا.)**[1]

نَفْهَمُ مِنْ هَذَّا اَلْتَعْرِيفِ أَنَّ: شارل موريسCharles Mauris، مَيَّزَ بَيْنَ ثَلَاثَةِ مَجَالَاتِ فِي اَلْإِحَاطَةِ بِأَيِّةِ لُغَةٍ مِنَ اَلْلُّغَاتِ، وَيَتِمُ ذَلِكَ بِمُرَاعَاةِ اَلْمُسْتَوَى اَلْتَرْكِيبِي، اَلْذِّي يَنْظُرُ إِلَى عَلَاقَةِ اَلْأَدِلَةِ فِيمَا بَيْنَهَا، وَيَلِيهَا اَلْمُسْتَوَى اَلْدَلَالِي اَلْذِّي يَنْظُرُ إِلَى اَلْعَلَاقَةِ اَلْقَائِمَةِ بَيْنَ هَذِهِ اَلْأَدِلَةِ وَاَلْمَرْجِعِ اَلْخَارِجِي.

وَاَلْمُسْتَوَى اَلْأَخِيرَ اَلْتَدَاوُلِي اَلْذِي يُعْنَى بِتَحْدِيدِ طَبِيعَةِ اَلْعَلَاقَةِ اَلْقَائِمَةِ بَيْنَ اَلْأَدِلَةِ فِيمَا بَيْنَهَا وَبِمُسْتَعْمِلِيهَا، وَذَلِكَ بِمُرَاعَاةِ اَلْسِيَاقِ اَلْتَوَاصُلِي اَلْدَاخِلِي وَاَلْخَارِجِي لِلْخِطَابِ اَلْلُّغَوِي اَلْمُنْتَجِ.

إِنَّ مُصْطَلَحَ اَلْتَدَاوُلِيَّةِ هُوَ اَلْتَرْجَمَةُ اَلْمَشْهُورَةُ فِي اَلْعَالَمِ اَلْعَرَبِي لِلْمُصْطَلَحِ اَلْإِنْجْلِيزِيpragmatics، وَلِلْمُصْطَلَحِ اَلْفَرَنْسِي pragmmatique، وَيَعْنِي بِهِ:

هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ " **جُزْءٌ مِنْ اَلْسِيمْيَائِيَّةَ اَلْتِّي تُعَالِجُ اَلْعَلَاقَةَ بَيْنَ اَلْعَلَامَاتِ وَمُسْتَعْمِلِي هَذِّهِ اَلْعَلَامَاتِ، فَهِي تُعْنَى بِدِرَاسَةِ اِسْتِعْمَالِ اَلْلُّغَةِ فِي اَلْخِطَابِ شَاهِدَةٍ فِي ذَلِكَ عَلَى مَقْدِرَتِهَا اَلْخِطَابِيَّةِ، فَهِي إِذَنٌّ تَهْتَمُ بِالْمَعْنَى كَالْدَلَالِيَّةِ وَبَعْضَ اَلْأَشْكَالِ اَلْلِّسَانِيَةِ اَلْتِّي لَا يَتَحَدُدُ مَعْنَاهَا إِلَّا مِنْ خِلَالِ اِسْتِعْمَالِهَا**".[2] يَتَلَخَّصُ مَضْمُونَ هَذَّا اَلْتَعْرِيفِ أَنَّ اَلْتَدَاوُلِيَةَ يَتَلَخَّصُ مَضْمُونَ هَذَّا اَلْتَعْرِيفِ أَنَّ اَلْتَدَاوُلِيَةَ عِبَارَةٌ عَنْ جُزْءٍ مِنَ اَلْسِيمْيَائِيَّةِ وَاِمْتِدَادٍ لَهَا،

[1] ماري نُوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات التداولية، تر: عبد القادر فهيم الشيباني، د د، ط1، سيدي بلعباس، الجزائر، 2007م، ص82.

[2] نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتخليل الخطاب (دراسة معجمية) دار الكتب الحديث، ط1، عمان، الأردن، 2009م، ص97.

وَصُلْبُ مَوْضُوعُهَا هُوَ دِرَاسَةُ اَلْعَلَاقَةِ اَلْمَوْجُودَةِ بَيْنَ اَلْعَلَامَاتِ وَمُسْتَخْدِمِيهَا (اَلْعَلَامَاتِ اَللُّغَوِيَّةِ وَغَيْرِ اَللُّغَوِيَّةِ فَهِيَ تُرَكِّزُ فِي دِرَاسَتِهَا عَلَى اَللُّغَةِ اَلْحَيَّةِ أَثْنَاءَ اَلْعَمَلِيَّةِ اَلْتَبْلِيغِيَّةِ اَلْتَوَاصُلِيَّةِ وَيَتِمُّ ذَلِكَ بِالْأَخْذِ بِعَيْنِ اَلْاِعْتِبَارِ مَقَامَهَا اَلْتَوَاصُلِي وَاَلْظُرُوفِ اَلْخَارِجِيَّةِ اَلْمُحِيطَةِ بِهِ أَوْ اَلْتِّي أَدَّتْ إِلَى إِنْجَازِهِ.

2.1. اَلْتَدَاوُلِيَّةُ عِنْدَ عُلَمَاءِ اَلْعَرَبِ اَلْمُحْدَثِّينِ:

تَعَدَّدَتْ اَلْمَفَاهِيمَ اَلْتَدَاوُلِيَةَ وَاخْتَلَفَتْ بِاخْتِلَافِ مَجَالِ اِشْتِغَالِ اَلْبَاحِثْ، كَمَّا تَعَدَّدَتْ اَلْتَرْجَمَاتِ وَاَلْمُصْطَلَحَاتِ مِثْلَ: اَلْذَرَائِعِيَّةِ، وَاَلْنَفْعِيَّةِ، اَلْبْرَاغْمَاتِيَةِ، وَاَلْتَدَاوُلِيَّاتِ، ... إلخ. وَعَلَى حَسَبِ الدكتور المغربي طه عبد الرحمان فَي مُؤَلَّفِهِ فِي أُصُولِ اَلْحِوَارِ وَتَجْدِيدِ عِلْمِ اَلْكَلَامِ " **وَقَعَ اخْتِيَارُنَا مُنْذُ 1970م عَلَى مُصْطَلَحِ "اَلْتَدَاوُلِيَّاتِ" مُقَابَلٌ لِلْمُصْطَلَحِ اَلْغَرْبِي "بْرَاغْمَاتِيكْ"(pragmmatique) ،لِأَنَّهُ يُوفِي اَلْمَطْلُوبَ حَقَهُ، وَبِاعْتِبَارِ دَلَالَتِهِ عَلَى مَعْنَى اَلْاِسْتِعْمَالِ وَاَلْتَفَاعُلِ مَعًا، وَلَقِّيَ مُنْذُ ذَلِكَ اَلْحِينْ قُبُولًا لَدَّى اَلْدَارِسِينَ اَلْذِّينَ أَخَذُّوا يُدْرِجُونَهُ فِي أَبْحَاثِهِمْ.**[1]

ظَهَرَتْ اَلْتَدَاوُلِيَةَ اَلْعَرَبِيَّةَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مَعَ طه عبد الرحمان وَذَلِكَ فِي سَنَةِ 1970م حَيْثُ أَوْرَدَ مَفْهُومَهَا بَعْدَ تَرْجَمَةِ مُصْطَلَحِ اَلْتَدَاوُلِيَةِ لِمَّا يُقَابِلُهُ بِالْأَجْنَبِّي (pragmmatique) وَيَعُودُ سَبَبُ اخْتِيَارِ تِلْكَ اَلْتَرْجَمَةِ حَسْبَ قَوْلِهِ إِلَى أَنَّ اَلْمُصْطَلَحَ يَتَمَاشَى مَعَ اَلْغَرَّضِ أَوْ اَلْغَايَةِ اَلْمُعبِرَةِ عَنْهَا وَيْخُدُمُهَا لِأَنَّهُ اَلْمَنْهَجَ اَلْأَنْجَعُ وَاَلْمُلَائِمَ فَهُوَ يَتَحَرَّى اَلْدَّمْجَ بَيْنَ عَامِلَيْنِ أَسَاسِيَّنِ وَمُهِمَيْنِ مِنَ اَلْدَلَالَاتِ دَلَالَةُ اَلْاِسْتِعْمَالِ وَدَلَالَةُ اَلْتَفَاعُلِ فِي اَلْوَقْتِ ذَاتِهِ، لِهَذَّا لَقِيَتْ صُدُورًا رَحِبَةٍ وَتَمَّ احْتِضَّانُ هَذَّا وَقُبُولَهُ.وَلَعَلَّ أَبْرَزَ اَلْتَعْرِيفَاتِ لِلْتَدَاوُلِيَةِ مِنْهَا مَا جَاءَ به مسعود صحراوي في كتابه التداولية عند **علماء العرب بكلامه: "هِيَّ مَذْهَبٌ لِسَانِي يَدْرُسُ عَلَاقَةَ اَلْنَشَاطِ اَلْلُّغَوِي بِمُسْتَعْمِلِيهِ، وَطُرُقِ أَوْ كَيْفِيَاتِ اسْتِخْدَامِ اَلْعَلَامَاتِ اَلْلُّغَوِيَةِ بِنَجَاحٍ، وَاَلْسِيَاقَاتِ وَاَلْطَبَقَاتِ اَلْمَقَامِيَةِ اَلْمُخْتَلِفَةِ اَلْتِي يُنْجَزُ ضِمْنَهَا اَلْخِطَابْ، وَاَلْبَحْثِ عَنِ اَلْعَوَامِلِ اَلْتِي تَجْعَلُ مِنَ اَلْخِطَابِ، رِسَالَةٍ تَوَاصُلِيَةٍ وَاضِحَةٍ وَنَاجِحَةٍ، وَاَلْبَحْثِ عَنْ أَسْبَابِ اَلْفَشَلِ فِي اَلْتَوَاصُلِ بِاَلْلُّغَاتِ اَلْطَبِيعِيَّةِ..."**[2] يتضح

---

[1] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، دار المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2000م، ص27.

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب" دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، ط1، بيروت، لبنان، 2005م، ص05.

مِنَّ اَلْنَصِ اَلْمَذْكُورِ سابقًا أَنَّ اَلْتَدَاوُلِيَةَ هِيَ جُزْءٍ مِنَ اَلْلِسَانِيَاتِ اَلْعَامَةِ، وَهَذَّا لاشْتِرَاكِهِمَا فِي مَبْحَثٍ وَاحِدٍ أَلَّا وَهُوَ دِرَاسَةُ اَلْلُغَةِ اَلْبَشَرِيَةِ، وَيَتِمُ ذَلِكَ بِالْتَرْكِيزِ عَلَى اَلْمُمَارَسَةِ اَلْفِعْلِيَةِ لِلُّغَةِ أَوْ اَلْكَلَامِ بِحَدِّ ذَاتِهِ وَفِي اَلْوَقْتِ نفسه أَنّهِ يُعِيرُ اهْتِمَامًا كَبِيرًا لِظُرُوفِ الاسْتِعْمَالِ بِالاحْتِكَامِ لِمَقَامِ اَلْخِطَابِ وَقَوَانِينِهِ (قَوَانِينَ اَلْخِطَابِ). أَيّْ: مَا يَقْصِدُهُ اَلْمُتَكَلِمُ وَمَا يَفْهَمَهُ اَلْمُخَاطَبْ (اَلْمُتَلَقِي) وَهُنَّا يُشِيرُ مسعود صحراوي إِلَى مَا يُعْرَفُ "بِالقَصْدِيَةِ" وَلَيْسَتْ هَذِّهِ اَلْجَوَانِبِ اَلّتي يُرَكِزُ عَلَى اكْتِشَافِهَا اَلْدَرْسَ اَلْتَدَاوُلِي، بَلْ يَسْعَى إِلَى اَلْاهْتِمَامِ بِمُخْتَلَفِ اَلْسِيَاقَاتِ اَلْلُّغَوِيَةِ وَغَيْرِ اَلْلُّغَوِيَةِ اَلْتِّي تُنْتِجُ اَلْخِطَابْ.

كَمَا يُمْكِنُّ القَوْلُ: إِنَّ اَلْتَدَاوُلِيَةَ تَسْعَى إِلَى كَشْفِ اَلْعَوَامِلِ اَلْنَاجِعَةِ وَاَلْمُسَاعِدَةِ اَلّتي تُؤَدِّي إِلَى نَجَاحِ اَلْعَمَلِيَةِ اَلْخِطَابِيَةِ اَلْتَخَاطُبِيَةِ بِرُمَتِهَا، دُونَ اغْفَالِ اَلْنَظَرِ عَنّْ اَلْجَوَانِبِ وَاَلْمُسَبِبَاتِ اَلْتِّي تَدْفَعُ وَتُؤَدِّي بِشَكْلٍ فَعَّال إِلَى فَشَلِ اَلْخِطَابِ (اَلْكَلَامِ) مِنّْ غَيْرِ حُصُولِ فَائِدَةٍ وَبُلُوغِ اَلْرِسَالِةِ اَلْمُرَادُ ايصَالُهَا لِلْمُخَاطِبِينَ وَاَلْمُتَلَقِينَ اَلْمُحَدَدِينَ.

وَمِنّْ هَذَّا كُلِّهِ نَسْتَنْتِجْ أَنَّ: جَوْهَرَ اَلْتَدَاوُلِيَةِ وَجُلُّ اهْتِمَامِهَا وَصُلْبُ مَضْمُونِهَا هُوَ اَلْلُّغَةُ اَلْحَيَّةِ أَثْنَاءَ اَلْتَوَاصُلِ اَلْلُّغَوِي بِعَيْنِهِ.

كَمَّا يُتَمِمُ مسعود صحراوي حَدِيثَهُ عَنِّ اَلْتَدَاوُلِيَةِ فِي مَوْضِعٍ آخر بِقَوْلِهِ: "**فَالتَدَاوُلِيَةُ لَيْسَتْ عِلْمًا لُغَوِيًا مَحْضًا بِالْمَعْنَى اَلْتَقْلِيدِي عِلْمًا يَكْتَفِي بِوَصْفِ وَتَفْسِيرِ اَلْبُنَى اَلْلُّغَوِيَةِ وَيَتَوَقَفُ عَنّْ حُدُودَهَا وَأَشْكَالِهَا اَلْظَاهِرَةِ، وَلَكِنَّهَا عِلْمٌ جَدِيدَ لِلْتَوَاصُلِ يَدْرُسُ اَلْظَوَاهِرَ اَلْلُّغَوِيَةِ فِي مَجَالِ اَلْاسْتِعْمَالِ.**"[1]

وِفْقَ هَذَّا اَلْمَفْهُومْ يُفَرِقُ اَلْبَاحِثُ بَيْنَ اَلْبِنْيَوِيَةُ وَاَلْتَدَاوُلِيَةَ فِي نِقَاطٍ جَلِيَةٍ، فَاَلْلِسَانِيَاتِ اَلْتَدَاوُلِيَةِ تَخْتَلِفُ عَنّْ نَظِيرَتِهَا اَلْسَالِفَةِ اَلْذِكْرِ(اَلْبِنْيَوِيَةِ) اَلّتي تَقْتَصِرُ فِي دِرَاسَتِهَا عَلَى حُدُودِ اَلْلُّغَةِ وَحَسْب، أَمَّا اَلْثَانِيَةُ (التَدَاوُلِيَةِ) تَتَعَدَاهَا إِلَى أَبْعَدْ مِنّْ ذَلِكَ فَهِيَّ بِمَثَابَةِ عِلْمٍ جَدِيدٍ يُسْتَغَلُ لِلْتَوَاصُلِ اَلْيَوْمِي وَيَتَمَحْوَرُ ذَلِكَ بِتَسْلِيطِ اَلْضَوْءَ عَلَى اَلْظَاهِرَةِ اَلْلُّغَوِيَةِ فِي أَثْنَاءِ اَلْاِسْتِعْمَالِ بِالاِسْتِنَادِ إِلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَّ اَلْعَوَامِلِ وَاَلْظُّرُوفِ بِاخْتِلَافِ

[1] المرجع السابق، ص16.

أَنْوَاعِهَا اَلْسِيَاقِيَّةِ وَغَيْرِ اَلْسِيَاقِيَّةِ. أَيْ: بِمَعْنَى تَسْتَنِدُ وَتَسْتَدِلُ بِهِمَا مَعَ بَعْضِهِمْ اَلْبَعْضِ فِي دِرَاسَتِهَا وَتَحْلِيلِهَا لِلُّغَةِ أَيْ: اَلْإِحَاطَةِ، وَاَلْشُمُولِيَةِ.

وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى نَجِدْ بَعْضَ اَلْعُلَمَاءِ اَلْذِّينَ أَشَارُوا إِلَى مَا تَعْنِيهِ اَلْتَدَاوُلِيَةِ اَلْحَدِيثَةِ مِنْهُمْ: محمود أحمد نحلة فِي كِتَابِهِ آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر نَرْصُدُ بَعْضَهَا:

"اَلْتَدَاوُلِيَةُ هِي دِرَاسَةُ كُلَّ جَوَانِبَ اَلْمَعْنَى التّي تُهْمِلُهَا اَلْنَظَرِيَّاتِ اَلْدَلَالِيَّةِ، فَإِذَّا اقْتَصَرَ عِلْمُ اَلْدَلَالَةِ عَلَى دِرَاسَةِ اَلْأَقْوَالِ التّي تَنْطَبِقُ عَلَيْهَا شُرُوطُ اَلْصِدْقِ، فَإِنَّ اَلْتَدَاوُلِيَةَ تُعْنَى بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ".[1]

اَلْمُلَاحَظُ مِنَ اَلْمَفْهُومِ اَلْسَابِقْ أَنَّ اَلْتَدَاوُلِيَةَ جَاءَتْ لِتَدَارُكِ جَمِيعَ اَلْجَوَانِبَ اَلّتي أَغْفَلَتْهَا اَلْدِرَاسَاتِ اَلْدَلَالِيَةِ اَلْمُنْصَبَّةِ بِاهْتِمَامِهَا عَلَى اَلْدَلِيلِ اَلْلُّغَوِي وَاَلْدَلَالَةِ فَهِي تَتَعَدَاهَا إِلَى أَبْعَدِ مِنْ ذَلِكَ.

فَهَذِهِ اَلْأَخِيرَةِ تَشْتَغِلُ عَلَى اَلْخِطَابِ مُتَجَاوِزَةً حُدُودَ اَلْنَصْ وَبِنْيَتِهِ اَلْمُنْغَلِقَةِ، هَذَّا عَلَاوَةً عَلَى أَنَّهَا تَهْتَمُ بِالْخِطَابَاتِ اَلْشَفَوِيَّةِ وَاَلَمَكْتُوبَةِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، اَلْلُّغَوِيَةِ وَغَيْرِ اَلْلُّغَوِيَةِ، فَاَلْلُّغَةُ فِي هَذَّا اَلْمَذْهَبْ أَوْ اَلْعِلْمِ اَلْلِسَانِي اَلْحَدِيثِ تَكُونُ أَكْثَرَ رَحَابَةً لِأَنَّهَا تُلْفِتُ اَلْإِنْتِبَاهَ إِلَى اَلْعَلَامَةِ وَعَلَاقَتِهَا بِمُمَثِلِيهَا، لِهَذَّا أَخَذَّتْ عَلَى عَاتِقِهَا اعَادَةِ اَلْاعْتِبَارِ لِلْعَامِلِ اَلْمُهِمِ اَلْذِّي اقْصتْهُ اَلْنَظَرِيَّاتِ التّي سَبَقَتْهَا زَمَانًا أَلاّ وَهُوَ "اَلْكَلَامْ".

وَمِنْ هَذَّا اَلْمُنْطَلَقِ لَمْ يَعُدْ يَنْظُرُ إِلَيْهَا كَوَسِيلَةٍ جَامِدَةٍ وَحَسْبْ. كَمَّا كَانَّ فِي نَظِيرَتِهَا اَلْسُوسُورِيَةِ بِتَبَايُنِ رُوَادِهَا وَمَذَاهِبِهَا، بَلْ أَضَحَتْ وَسِيلَةً وَأَدَاةً تَوَاصُلِيَة مُقَيَّدَة بِقُيُودِ اَلْاسْتِعْمَالِ فِي آنٍ وَاحِدٍ.

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، د ط، الإسكندرية، مصر، 2002م ص12.

كَمَّا يُعْطِي تَعْرِيفًا آخَرْ بِقَوْلِهِ: " **اَلْتَدَاوُلِيَةِ فَرْعٌ مِنْ عِلْمِ اَلْلُّغَةِ يَبْحَثُ فِي كَيْفِيَةِ اكْتِشَافِ اَلْسَامِعْ مَقَاصِدَّ اَلْمُتَكَلِمِ، أَوْ هُوِ دِرَاسِةْ مَعْنَى اَلْمُتَكَلِمِ.**"[1]

هَذَّا اَلْتَعْرِيفْ لِلتَدَاوُلِيَةِ يَتَمَاشَى مَعَ اَلْتَعْرِيفِ اَلْذِّي سَاقَهُ مسعود صحراوي، فَهُوَ كَذَلِكَ (محمود أحمد نحلة) يَعْتَبِرُ اَلْتَدَاوُلِيَةَ فَرْعًا مِنْ فُرُوعِ اَلْلِسَانِيَاتِ اَلْعَامَةِ، وَيَتَلَخَصُ مَوْضُوعُ بَحْثِهَا فِي كَيْفِيَةِ أَوْ اَلْسُبُلِ اَلْمَنُوطَةِ بِالسَامِعِ إِلَى اَلْوُصُولِ وَاَلْبُلُوغِ لمَقَاصِدِ وَمُبْتَغَى اَلْمُتَكَلِمْ، وَكُلُّ هَذَّا يَتَجَسَدُّ فِي شَيْءٍ مُعَيَنٍ هُوَ قَصْدِيَّةِ اَلْمُخَاطِبْ، وَبِتَعْبِيرٍ آخَرٍ اَلْتَدَاوُلِيَةِ هِيَّ قَصْدِيَةِ اَلْمُتَكَلِمِ وَمَا يَسْتَنْتِجُهُ اَلْمُخَاطِبْ بِحَدِّ ذَاتِهِ أَيّْ: قُطْبُ رَحَاهَا هُو مَا يَقْصِدُهُ اَلْمُتَكَلِمُ مِنَ اَلْمَلْفُوظِ.

عَلَى اَلْرُغْمِ مِنْ تَعَدُدِّ اَلْتَعْرِيفَاتْ لِلْتَدَاوُلِيَةِ مِنْ طَرَفِ اَلْبَاحِثِينِ إِلَّا أَنَّهَا كُلُّهَا تَصُبُ فِي مَوْضُوعٍ وَاحَدٍ وَهُوَ كَيْفِيَةِ إِيصَالْ اَلْأَفْكَارِ إِلَى مُتَلَقِيهَا، فَنَجِدُ محمد محمد علي يونس يُعَرِّفُهَا:" **اَلْتَدَاوُلِيَةِ هِي دِرَاسَةْ كَيْفَ يَكونُ لِلْمَقَالَاتِ مَعَانٍ فِي اَلْمَقَامَاتِ اَلتَخَاطُبِيَةِ**"[2]

فَهُوَ بِهَذَّا اَلْتَصَوُّرِ لَا يُخَالِفَ اَلْمَفَاهِيمَ اَلْتِي تَمَّ رَصْدُّهَا فِيمَا سَبَقَ، وَيَتَضِحُ ذَلِكَ جَلِيًا مِنْ خِلَالِ تَمْيِّيزِهِ وَتَفْرِيقِهِ بَيِّنَ عِلْمَيْ اَلْدَلَالَةِ وَاَلْتَدَاوُلِيَةِ أَوَّلُهَا (اَلْدَلَالَةِ) تَقْتَصِرُ فِي اَلْدِرَاسَةِ عَلَى اَلْمَعَانِي فِي اَلْمَقَامِ مُجَرَدًا عَنِّ اَلْسِيَاقِ اَلْذِي وَرَدَّتْ فِيهَا، فَهَذِّهِ اَلْأَخِيرَةُ تَنْظُرُ إِلَى أَبْعَدِ مِنْ هَذَّا بِكَثِيرٍ وَلَا تَحْصُرُ نَفْسَهَا عِنِّدَ حُدُودِ اَلْمَقَامِ وَاَلْمَعْنَى فَحَسْب، بَلْ تَتَعَدَاهَا إِلَى أَعْلَى دَرَجَةٍ وَمَنْزِلَةٍ تَتَجَسَدُّ فِي اَلْسِيَاقَاتِ اَلْخَارِجِيَّةِ لِلْخِطَابَاتِ اَلْإِنْجَازِيَةِ وَاَلْمَلْفُوظَاتِ، أَوْ كَمَّا يُعْرَفُ عِنْدَ عُلَمَاءِ اَلْغَرْبِ تَصَوُرَهُمْ كَيْفَ نُنْجِزُ أَفْعَالًا بِالْأَقْوَالِ وحُدَّتْ بِمَفْهُومٍ آخَرَ " **هُوَ مَفْهُومُ اتِجَاهٍ فِي اَلْدِرَاسَاتِ اَلْلِسَانِيَةِ يُعْنَى بِأَثَرِ اَلْتَفَاعُلِ اَلْتَخَاطُبِيّ فِي مَوْقِفِ اَلْخِطَابِ وَيُسْتَتَبَعُ هَذَّا اَلْتَفَاعُلُ دِرَاسَةِ كُلُّ اَلْمُعْطَيَاتِ اَلْلُّغَوِيَةِ وَاَلْخِطَابِيَّةِ اَلْمُتَعَلِقَةِ بِالْتَلَفُظِ، وَلَا سِيَمَا اَلْمَضَامِينِ وَاَلْمَدْلُولَاتِ اَلْتِّي يُوَلِدُ اَلْإِسْتِعْمَالُ فِي اَلْسِيَاقِ.**"[3]فأساسُ

---

[1] المرجع السابق، ص12.

[2] محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت، لبنان، 2004م، ص12.

[3] بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، دار مؤسسة السياب، ط1، لندن، 2012م، ص32.

اَلْدَرْسُ اَلْلِسَانِي فِي اَلْتَحْلِيلِ اَلْتَدَاوُلِي يَتَمَحْوَرُ حَوْلَ مُسْتَوَيَاتٍ لاَ يَجِبُ اغْفَالُهَا فِي اَلْتَحْلِيلِ لِأَيّ لُغَةٍ مِنَ اَلْلُّغَاتِ بِاخْتِلَافِ نَوْعَيْهَا اَلْمَنْطُوقَةِ وَاَلْمَكْتُوبَةِ، هِيَ اَلْتَفَاعُلْ وَرَدِّ اَلْفِعْلِ بَعْدَ صُدُورِ اَلْقَوْلِ أَوْ مَا يُعْرَفُ بِالْقُوَةِ اَلْإِنْجَازِيَةَ لِلْأَفْعَالِ، وَهَذَا اَلْتَفَاعُلُ يَكُونَ فِي خِضَمِ سِيَاقِ اَلْحَالِ لِلْتَدَاوُلْ اَلْسِيَاقِي وَغَيْرِ اَلْسِيَاقِي.

وَبِهَذَّا نَسْتَخْلِصْ: أَنَّ اَلْتَدَاوُلِيَةَ أَوْ مَا يُعْرَفُ فِي اَلْمُقَابِلِ pragmmatique

مَذْهَبٌ وَمَبْحَثٌ لِسَانِيٌّ وُلِدَ وَانْبَثَقَ عَنْ اَلْلِسَانِيَاتِ اَلْأُمْ، اَلْلِسَانِيَاتْ اَلْسُوسُورِيَةِ.

وَمِنْ خِلَالِ مَا تَمَّ تَنَاوُلَهُ يُمْكِنُ اَلْقَوْلُ: إِنَّ أَوْجَزَ تَعْرِيفٍ لِلْتَدَاوُلِيَةِ هُوَ " **دِرَاسَةِ اللُّغَةِ فِي الاسْتِعْمَالِ، أَوْ فِي التَوَاصُلِ لِأَنَّهُ يُشِيرُ إلى أَنَّ المَعْنَى شَيْئًا مُتَصِلًا فِي اَلْكَلِمَاتِ وَحْدَهَا، وَلَا يَرْتَبِطُ بالمُتَكَلِمِ وَحْدَهُ، وَلَا السَامِعْ وَحْدَهُ، فَصِنَاعةُ اَلْمَعْنَى تَتَمَثَّلُ فِي تَدَاوُلِ اَلْلُّغَةِ بَيْنَ اَلْمُتَكَلِمِ وَاَلْسَامِعْ فِي سِيَاقٍ مُحَدَدٍ، وُصُولاً إلى اَلْمَعْنَى اَلْكَامِنْ فِي كَلَامٍ مَا.**[1]

اَلْتَدَاوُلِيَةِ لَا تُرَكِّزُ عَلَى جَانِبٍ دُونَ آخرٍ فَي تَحْلِيلِهاَ لِلْمَادَةِ اللُّغَوِيَةِ، بَلْ كُلٌّ مُتَكَامِلٌ وَلَا يُمْكِنُ تجْزِئَةْ عُنْصُرٍ بِتَغاضِي النظَرْ عنْ جُزْءٍ ومكونٍ آخَرْ، أيْ: كُلْ مكونَاتْ الرِسالةِ التَخاَطُبِيَةِ التَبْلِيغِيةِ تتلاحَمُ فيما بيْنَهَا، بُغْيَةَ الوُصولِ إلى الهَدَفِ المَنُوطِ بها وهو المَعْنَى المُتجَسِدْ في الكلامِ.

ويُجمِلُ جُلُ الباحِثِينَ باختلافِ انتماءاتِهِمْ سواءْ كانت غربيّة أمْ عَرَبِيَةٍ على محاورِ وآلياتْ التَحليلِ التَداوِلي على الجوَانِبْ الأرْبَعَةِ " **ويكادُ البَاحِثُونَ يتفِقُونَ على أَنَّ البَحْثَ التَداوُلِي يقُومُ على دِراسَةِ أربعةِ جوانِبْ: الإشارة، والافتراضْ السابقْ والاستلزام الحواري والأفعالِ الكَلاَمِيَةِ.**"[2] ورَدَّ لدى المُهتَمِينَ بالمَنْهَجْ التَدَاوُلِي آلِيَاتْ المَفَاهِيمْ التَدَاوُلِيَةِ وَلَا نقْصِدُ هُنَا بالمَفْهومْ التَعْرِيفْ بَلْ نَعْنِي بِهِ المَحَاوِرْ التَحْلِيلِيَةِ

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص14.

[2] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص15.

الأَسَاسِيَةِ التّي تَشْتَغِلُ عليها 'التداولية' وهذّا أَحْدَثَ نُقْطَةَ تَبايُنْ واخْتِلافْ في وُجُوهَاتْ النظرْ والتَقْسِيماتْ المُتَوَاضَعِ عليها هي: أَفْعالْ الكَلامْ، والاشارِياتْ، الحجاج، والافتِراضَاتْ المُسْبَقَةِ والاسْتِلْزَامْ الحِوارِي ...إلخ وهذّه هي نظرِيَاتْ التَحْلِيلْ التَدَاوُلِي اللِسَانِي.

3.1. التداولية عند علماء الغرب.

إِنَّ ظُهُورْ التَدَاوُلِيَةِ في العَالَمِ، باخْتِلَافِ أَبْعَادِهِ التَارِيخِيَةِ يَعُودُ إلى شارل موريس (Charles Morris)، وَهَذَّا العَالِمْ من الأَوَائِلْ الّذينَ أَشَارُوا إلى العِلْمِ اللِسَانِي، إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ لَبِنَاتٌ وَارْهَاصَاتْ سَبَّاقَةٍ في هذّا الاخْتِصَاصْ مع ويليام جيمس (william James)، لَكِنَّ المُؤَسِسْ الفِعْلِي لَهَا هُوَ شَارْل مُورِيسْ.(Charles Morris) حَيْثُ يُعَرِفُهَا فِي مَقَالٍ كَتَبَهُ فِي مَوْسُوعَةٍ عِلْمِيَةٍ : " **التَدَاوُلِيَةِ جُزْءٌ مِنَ السِيمْيَائِيَةِ الّتي تُعَالِجُ العَلَاقَةِ بَيْنَ العَلَامَاتْ وَمُسْتَعْمِلِي هذه العَلَامَات**".[1]

يُسْتَشَفُ مِنْ هذا التَعْرِيفِ أَنَّ هُنَاكَ نَقَاطْ تَبَايُنُ وَاخْتِلَافْ بَيْنَ ثَلَاثَةِ عُلُومٍ أَسَاسِيَةٍ في الدَرْسِ اللِسَانِي الحَدِيثِ رَكَزَّ عَلَيْهَا موريس (Charles Morris)، عِنْدَ صِيَاغَتِهِ لِهَذَا التَعْرِيفِ: أَوَّلُهَا عِلْمُ التَرَاكِيبْ الذّي يَقْتَصِرُ على دِرَاسَةِ النِقَاطْ التّي تَرْبِطُ العَلَاقَةِ بَيْنَ العَلَامَاتْ، وَالثَانِي العِلْمُ الذّي يَبْحَثُ عَنْ مَدَى مُطَابَقَةِ المَدْلُولَاتِ لِلْعَلَامَاتِ، وَهَذَّا الجَانِبُ يَدْرُسُهُ عِلْمُ الدَلَالَةِ.

وَالثَالِثُ التَدَاوُلِيَةُ الّتي تَهْتَمُ بِجَمِيع الجَوَانِبْ الّتي سَبَقَ ذِكْرُهَا وَتَتَعَدَاهَا إلى أَبْعَدِ مِنْ ذَلِكَ.

وَتَمَّ رَصْدُ تَعْرِيفٍ آخَرْ لِلْتَدَاوُلِيَةِ مَفَادُهُ أَنَّهَا: " **تُمَثِلُ دِرَاسَةٍ تَهْتَمُ بِاللُغَةِ فِي اَلْخِطَابِ وَتَنْظُرُ فِي الوَسَمِيَّاتِ اَلْخَاصَةِ بِهِ، قَصْدَ تَأْكِيدِ طَابِعِهِ اَلْتَخَاطُبِي.**"[2]

هذّا التَعْرِيفِ جَاءَ بِهِ م.ديلر(AM.DILLER) جُلُّ هَذِهِ اَلْتَعْرِيفَاتِ تَرْتَكِزُ عَلَى قَاعِدَةٍ أَسَاسِيَةٍ وَمُنْطَلَقٍ وَاحِدٍ هُوَ دِرَاسَةِ اَلْلُغَةَ أَثْنَاءَ اَلْخِطَابِ بالإِضَافَةِ إِلَى احَاطَتِهِ بالظُرُوفِ الخَاصَةِ الَّتِي دَفَعَتْ إِلَى انْشَاءِ اَلْخِطَابِ.

وَنَجِدُ فِي مَوْضِعٍ آخَرٍ اشَارَةً مِنَ العَالِمْ الأَجْنَبِي فرانسيس جاك (Francis Jac)

---

[1] نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، دار الآداب، د ط، القاهرة، مصر، 2003م، ص166.

[2] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، ط1، سوريا، 2007م، ص، ص18، 19.

للتَدَاوُلِيَةِ بِقَوْلِهِ: " **تَتَطَرَقُ التَدَاوُلِيَةُ إِلَى اَلْلُغَةِ كَظَاهِرَةٍ خِطَابِيَةٍ وَتَوَاصُلِيَةٍ وَاِجْتِمَاعِيَةٍ مَعًا.**"[1]

اَلْمَقْصُودُ مِنْ اَلْكَلَامِ اَلْسَالِفِ أَنَّ اَلْتَدَاوُلِيَةَ تَنْظُرُ إِلَى اَلْلُغَةِ بِاعْتِبَارِهَا ظَاهِرَةً خِطَابِيَة وَأَدَاةً أَسَاسِيَةً فِي تَشْكِيلِ اَلْتَوَاصُلِ، فَمِنَ اَلْمُسْتَحِيلِ أَنْ نُشَكِلَ خِطَابًا خَارِجَ أُطُرِ اَلْتَوَاصُلِ اَلْمُتَوَاضَعِ عَلَيْهَا مِنْ قِبَلِ اَلْجَمَاعَةِ اَلْلُغَوِيَةِ اَلْوَاحِدَةِ اَلْنَاطِقَةِ بِهَا، اَلّتِي تُسْتَخْدَمُ فِي تَشْكِيلِ اَلْصِيَاغَةِ اَلْمُحْكَمَةِ وِفْقَ قَوَاعِدَ مَضْبُوطَةِ بِدِّقَةٍ.

فَاَلْتَدَاوُلِيَةِ حَسْبَ فرانسواز أرمينغو (françois armengau) هِيَ:" **تُشَكِلُ مُلْتَقَى غَنِيًا تَتَدَاخَلُ اَلْإِخْتِصَاصَاتِ بَيْنَ اَلْلِسَانِيِينَ وَاَلْفَلَاسِفَةِ، وَاَلْمَنَاطِقَةِ، وَاَلْسِيمْيُوطِيقِيِينَ، وَاَلْفَلَاسِفَةِ، وَعُلَمَاءِ اَلْنَفْسِ، وَعِلْمِ الاجْتِمَاعِ.**"[2]

أَشَارَ اَلْبَاحِثُ اَلْلِسَانِي إِلَى فِكْرَةٍ جَوْهَرِيَةٍ وَلّا يُمْكِنُ تَجَاهُلُهَا، تَتَجَسَدُ فِي اَلْعَلَاقَةِ اَلْتَكامُلِيَةِ، أَو اَلْجِسْرُ اَلْرَابِطُ بَيْنَ اَلْتَدَاوُلِيَةِ وَمُخْتَلَفِ اَلْعُلُومِ اَلْأُخْرَى.

فَكُلُّ اَلْتَخَصُصَاتِ اَلّتِي ذَكَرَهَا اَلْبَاحِثُ اَلْأَجْنَبِي، لَهَا جَانِبٌ مِنْ جَوَانِبِ اَلْإِرْتِبَاطِ وَاَلْإِشْتِرَاكِ فِي نِقَاطٍ مُعَيَنَةٍ حَتَّى وَإِنْ كَانَتْ نِقَاطا طَفِيفَةً، مَعَ بَعْضِهِمِ اَلْبَعْضِ، فَاَلْعُلُومِ تَسْتَنِدُ عَلَى عُلُومٍ وَمُعْطَيَاتٍ أُخْرَى فِي تَحْلِيلِ اَلْظَوَاهِرِ اَلْلُغَوِيَةِ وَهَذِهِ لَابُدَ أَنْ لَا تَغْفَلَهَا اَلدِرَاسَاتُ اَلْلِسَانِيَةُ اَلْمُعَاصِرَةُ.

[1] نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص166.

[2] أسامة محمد إبراهيم البحيري، انغلاق البنية وانغلاقها في البنيوية والتداولية والبلاغة العربية، ندوة الدراسات البلاغة، الواقع المأمول، جازان، 1433هـ، ص،868. نقلا عن فرانسوا أرمينغو، المقاربة التداولية.

4.1: التداولية وتداخلها المعرفي بالعلوم الأخرى

1.4.1: علاقة التداولية باللسانيات واللسانيات البنيوية.

تَرْتبِط التداولية بعدّة علوم معْرِفِيةٍ مختلفة وتسْتعينُ بها في تحليلها للكلام والخطاب اللسانِي وتسْتند إلى جملة من المعارف منها علم الاجتماع، وعلم النفس والبنيوية...إلخ. تكمن عَلَاقَةِ اَلْتَدَاوُلِيةِ مَعَ سَابِقَتِهَا اَلْلِسَانِيَاتِ وَبِالْضَبْطِ اَلْبِنْيَوِيَةِ لفرديناند دي سوسور (Saussure) نَجِدُ أَنَّ مُعْظَمَ اَلْبَاحِثِينَ وَاَلْدَارِسِينَ أَنَّهُمْ يُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ مَهَامَ وَاهْتِمَامِ اَلْتَدَاوُلِيَةَ هُوَ اَلْكَلَامُ بِحَدِّ ذَاتِهِ اَلّذِي لَا يَتَمَاشَى مَعَ اَلْلِسَانِ، فَأَبُو اَلْلِسَانِيَاتِ اَلّذي لَا يُعِيرُهُ أَيُّ اهْتِمَامٍ حَسْبَ تَعْرِيفَاتِهِ فَجَوْهَرُ اَلْبِنْيَوِيَةِ هَوَ دِرَاسَةَ نِظَامِ اَلْلُغَةِ أَيْ: اعْتِبَارِهِ بِنْيَةٌ مُغْلَقَةٌ، دُونَ أَيِّ اعْتِبَارٍ لِلْظُرُوفِ اَلْخَارِجِيَةِ، وَهَذَا مَا دَفَعَ بِالْبَعْضِ لِلْقَوْلِ إِنّ: اَلْتَدَاوُلِيَةَ هِي لِسَانِيَاتِ اَلْكَلَامِ بِرُمَتِهَا مُقَابِلَ لِسَانِيَاتِ اَلْلُغَةِ السوسورية، لَكِنَّ بِالْضَرُورَةِ اَلْإِلْزَامِيَةِ اَلْكَلَامِ لَيْسَ مَعْزُولًا عَنِّ اَلْلُغَةِ تُتَرْجَمُ بِالْكَلَامِ فَدِرَاسَتُهُ، هِيَ دِرَاسَةِ اَلْوَاقِعِ اَلْمُعَاشِ.[1]

1. 2.4: علاقتها بعلم الدلالة.

يُعَدُّ عِلْمَ اَلْدَلَالَةِ فَرْعًا مِنْ فُرُوعِ عِلْمِ اَلْلُغَةِ اَلْحَدِيثِ، وَهُوَ يَتَدَاخَلُ مَعَ اَلْتَدَاوُلِيَةِ فِي كَوْنِّهِمَا يَشْتَرِكَانِ فِي دِرَاسَةِ اَلْمَعْنَى أَيْ: جُلُّ اهْتِمَامِهَا اَلْوَحِيدُ يَنْصَبُ فِي دَائِرَةِ وَاحدة، تَتَجَسَدُ فِي اَلْمَعْنَى وَحَيْثِيَاتِهِ، لِهَذَا نَجِدُ بَعْضَ اَلْإِسْهَامَاتِ وَاَلْإِرْهَاصَاتِ وَاَلْتَلْمِيحَاتِ اَلّتِي تَدْعُو إِلَى ضَرُورَةِ اَلْدَمْجِ وَاَلْإِئْتِلَافِ بَيْنَهُمَا، كَمَا هُنَاكَ مَنْ يُؤْمِنُ بِفِكْرَةٍ أَنَّ التَدَاوُلِيَةَ هِيَ امْتِدَادٍ شَرْعِي لِلْدَلَالَةِ.[2]

لهذا يمكن أنّ نسْتخلص مما سلف ذكره أنّ هناك ترابط وتداخلْ معرفي ما بين العلمين (اللسانيات وعلم الدلالة) مع اللسانيات التداولية.

---

[1] ينظر: خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، دار أمثال الحكمة، ط1، سطيف، الجزائر، 2009م، ص، ص، 123، 124.

[2] ينظر: محمود أحمدة نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي ص10.

3.4.1: علاقة التداولية باللسانيات النفسية.

تَلْتَقِي اَلْتَدَاوُلِيَةِ مَعَ عِلْمِ اَللُّغَةِ اَلْنَفْسِي فِي حَدِّ اَلْاِهتِمَامِ بِمَهَارَاتٍ وَقُدُرَاتِ اَلْمُتَكَلِمِينَ وَاَلْمُتَفَاعِلِينَ فِي أَدَائِهِمِ مِنْ زَاوِيَةِ أَثَرِ لَفْتِ اَلْاِنْتِبَاهِ، وَقُوَةِ اَلْذَّاكِرَةِ اَلْذَّاتِيَةِ وَسُلُوكِيَاتِ وَتَصَرُفَاتِ اَلْطَبَائِعِيَةِ...وَهَذَهِ اَلْعَنَاصِرِ كُلُّهَا يَتَلَخَصُ مَضْمُونَهَا فِي كَوْنِهَا عَمَلِيَةِ شَرْحِ وَتَفْسِيرِ اَلْمَلَكَةِ أَوْ اَلْكَفَاءَةِ اَلْتَبْلِيغِيَةِ فِي عَمَلِيَةٍ تَوَاصُلِيَةٍ مُعَيَنَةٍ، لِهَذَا نَجِدُ اَلْتَدَاوُلِيَةَ تُرَكِزُ وَتَسْتَعِينُ بِعِلْمِ اَللُّغَةِ اَلْنَفْسِي فِي تَحْلِيلِهَا وَتَأْوِيلِهَا لِلْخِطَابَاتِ اَللُّغَوِي وَغَيْرِ اَللُّغَوِيَةِ.[1]

4.4.1: التداولية وعلاقتها بعلم اللغة الاجتماعي.

تَشْتَرِكُ اَلْلِسَانِيَاتِ اَلْاِجْتِمَاعِيَةِ مَعَ نَظِيرَتِهَا اَلْتَدَاوُلِيَةُ فِي كَوْنِهَا تَشْتَرِكُ مَعَهَا فِي ايضَاحِ وَرَصْدِ أَثَرِ تَفَاعُلِ اَلْعَلَاقَةِ اَلْاِجْتِمَاعِيَةِ بَيْنَ اَلْعَنَاصِرِ اَلْمُكَوِنَةِ لِلرِسَالَةِ اَلْتَخَاطُبِيَةِ فِي مَقَامِ تَوَاصُلِي مُعَيَنٍ، وَتُبَيِّنَ أَهَمَ مَرَاتِبِهِمِ وَأَجْنَاسِهِمِ، وَأَثَرُ اَلْسِيَاقِ بِاخْتِلَافِ نَوْعِيَهِ (اَللُغَوِي وَغَيْرِ اَللُغَوِي) فِي تَنْقِيَةِ وَاخْتِيَارِ اَلْتَعَدُدَاتِ وَاَلْتَنَوُعَاتِ وَاَلْخَصَائِصِ اَلْلُغَوِيَةِ فِي انْتَاجِهِمْ لِلْحَدَثِ اَلْكَلَامِي.[2]

لهذا يمكنني القول إنّ: اللسانيات التداولية في تحليلها للخطابات اللغويّة تحتاج وتسْتعينُ بعلوم أخرى لتحقيق الغرض والغاية الأسمى وهي حصول الفهمِ والإفهام بين المرسلِ والمتلقي.

[1] ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 132.

[2] ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص، ص 10، 11.

المبحث الثاني: بين دلالة المضمر وآليات التحليل.

1.2: الضمنيات.

تُعَدُّ نَظَرِيَةَ اَلْضِّمْنِيَاتِ مِنَ اَلْمَحَاوِرِ اَلْجَوْهَرِيَةِ وَاَلْرَئِيسِيَةِ اَلّتِي تَسْتَنِدُ عَلَيْهَا اَلْتَدَاوُلِيَةِ، وَيُقْصَدُ بِهَا اَلْمَعَانِي وَاَلْدَلَالَاتِ اَلّتِي لَا تَظْهَرُ بِشَكْلٍ جَلِّي وَوَاضِحٍ لِلْعَيَانِ، أيْ: تَأْتِي مُتَخَفِيَةً وَلَا تَتَبَيَّنْ عَلَى سَطْحِ اَلْكَلَامِ.

وَيُقْصَدُ بِالمَعَانِي اَلْضِّمْنِيَةِ عِنْدَ بول غرايس (P.Grice) حَسْبَ قَوْلِهِ: " **إنَّ مُصْطَلَحَ اَلْمَعْنَى اَلْضِمْنِي لِلْحَدِيثِ عَمَا يُمْكِنُ أَنْ يُضَمِنَهُ أَوْ يُوحِي بِهِ أَوْ يَعْنِيهِ مُتَكَلِمٌ مَا فَوْقَ مَا يُصَرِحُ بِهِ ظَاهِرُ كَلَامِهِ.**"[1]

يَتَّضِحُ مِنْ هَذَا اَلْمَفْهُومِ أنَّ اَلْمَعَانِي اَلْضِمْنِيَةِ لِلْمَلْفُوظِ هُوَ مَا يَحْمِلُهُ فِي خِضَمِّ اَلْكَلَامِ وَيَكُونُ غَيْر مُبَاشِرٍ لِبُلُوغِ غَايَاتِهِ، وَهَذَا اَلْمَعْنَى يُفْهَمُ مِنَ اَلْعِبَارَاتِ، لَكِنَّ اَلْمَعْنَى يَكُونُ بِطَرِيقةٍ مُتَخَفِيَةٍ غَيْرُ مَكْشُوفَةٍ وَوَاضِحَةٍ.

وَبِطَبِيعَةِ اَلْحَالِ هَذِهِ اَلْمَعَانِي اَلْضِمْنِيَةِ تُسْتَشَفَ عَنْ طَرِيقِ اَلْاِسْتِنْتَاجَاتِ والْاِسْتِخْلَاصَاتِ، وَهَذِهِ اَلْنَتَائِجِ تُحْتَكَمُ إِلَى خَاصِيَةِ اَلْقَوْلِ وَاَلْسِيَاقِ مَعًا.

وَاَلْشَيْءُ اَلّذِي يُتَوَاضَعُ عَلَيْهِ هُوَ أَنَّ اَلْلُّغَةَ تُتَرْجَمُ عَنْ طَرِيقِ اَلْمُحَادَثَةِ وَاَلْمُشَافَهَةِ لِتَحْقِيقِ اَلْتَوَاصُلِ " **إنَّ أَيَّ تَوَاصُلٍ يَكُونُ تَصْرِيحِيًا بِشَكْلٍ جُزْئِي، وَيَكُونُ ضِمْنِيًا بِشَكْلٍ جُزْئِي أَيْضًا، وَكُلُّ دَلَالَةٍ تَنْشَأُ فِي قِسْمٍ مِنْهَا عَنْ مُعْطَيَاتٍ ضِمْنِيَةٍ، وَغَالِبًا مَا يَبْدُو فِي اَلْوَاقِعِ نَصِيبُ اَلْضِمْنِي، أَوْفَرَ مِنْ نَصِيبِ اَلْتَصْرِيحِي، بِمَا فِي ذَلِكَ فِي اَلْمُسْتَوَى اَلْبَسِيطِ لِلْمَعْنَى.**" [2]

إنَّ اَلْعَمَلِيَةَ اَلْتَوَاصُلِيَةُ اَلْيَوْمِيَةُ تَقُومُ عَلَى أَهَمِ عُنْصُرٍ فِي اَلْتَخَاطُبِ، يَتَمَثَّلُ فِي اَلْعِبَارَاتِ وَاَلْكَلِمَاتِ، وَهَذِهِ اَلْكَلِمَاتِ تَكُونُ عَلَى ضَرْبَيْنِ إِثْنَيْنِ: أَوَلُهُمَا تَصْرِيحٌ حَرْفِي

[1] ج ب براون، ج يول، تحليل الخطاب، تر: وتع: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، دار النشر العلمي والمطابع، د ط، الرياض، السعودية، 1997م، ص96.

[2] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ص144.

مَحْضٌ بِالْمَعَنَى اَلْمُرَادِ تَبْلِيغُهُ، وَاَلْآخَرُ غَيْرُ حَرْفِي بِشَكْلٍ جُزْئِي مُضَمَنٌ فِي اَلْمَعْنَى اَلْعَامِ أَيْ: اَلْكَلَامُ اَلْوَاحِدُ يَحْمِلُ فِي خَبَايَاهُ مَعْنَيَيْنِ: وَاحِدٌ مُبَاشِرٌ وَاَلْثَانِي دَلَالَتُهُ غَيْرُ مُبَاشِرَةٍ.

فَالْدَلَالَةُ اَلْعَامَةُ لِلْمَلْفُوظِ اَلْلُغَوِي تَنْبَنِي عَلَى اَلْأَسَاسِ اَلْضِمْنِي، كَمَّا يَحْتَوِي اَلْخِطَابَ بِحَذَافِيرِهِ، وَهَذَا اَلْمَعْنَى اَلْمُبْهَمِ أَوْ اَلْمُبْهَمَاتِ حَظِيَّتْ بِاهْتِمَامٍ كَبِيرٍ وَرَصِيدٍ وَاسِعٍ وَشَامِلٍ مِنْ نَظِيرِهِ اَلْمَعْنَى اَلْمُصَرَحِ بِهِ بِطَرِيقَةٍ وَاضِحَةِ اَلْمَعَالِمِ، وَمُبَاشِرَةٍ دُونَ اِيحَاءَاتٍ وَدَلَالَاتٍ تَرْمِيزِيَّةٍ دَاخِلِيَةٍ تُكْتَشَفُ مِنْهُ.

وَهَذِهِ اَلْإِيحَاءَاتِ اَلْدَلَالِيَةِ لَهَا أَسْبَابٌ وَدَوَافِعٌ تَجْعَلُ اَلْمُخَاطِبَ (المُتَكَلِم) يَلْجَأُ إِلَي اَلْإِسْتِعَانَةِ بِهَا فِي اِنْتَاجِهِ لِمَلْفُوظِهِ.

كَمَا عَالَجَ غرايس (Grice) إِشْكَالِيَةَ اَلِتَضْمِينَاتِ أَوْ مَا يُسَمَى بِالْمُبْهَمَاتِ مِن نُقْطَةِ اَلْإِنْطِلَاقِ مَفَادُهَا اَلْمَبْدَأُ اَلْتَعَاوُنِي أَوْ اَلْحِوَارِي، فَالْحِوَارُ هُوَ اَلّذي يَجْعَلُ اَلْمُتَفَاعِلِينَ مَعَ كَلَامِ اَلْمُخَاطِبْ مُعْتَمِدِينَ فِي ذَلِكَ عَلَى اَلْمُرْتَكَزَاتِ اَلْاسْتِلْزَامِيَّةِ، لِإِنْجَاحِ اَلْعَمَلِيَةِ اَلْتَواصُلِيَةِ اَلْإِتِصَالِيَةِ بَيّنَ أَطْرَافِ اَلْرِسَالَةِ.

نَذْكُرُ عَلَى سَبِيلِ اَلْتَمْثِيلِ لَا اَلْحَصْرِ: أَقْلَعُ مُحَمَدُ عَنِ اَلْتَدْخِينِ. فَاَلْمَعْنَى اَلْعَام تَبْلِيغٌ بِحَالَةِ محمد اَلْحَالِيَةِ وَهُوَ أَنَّ محمد لَمْ يَعُدْ يُدَخِنْ، أَمَّا اَلْمَعْنَى اَلْمُبْهَمِ مِنْ هَذَا اَلْقَوْلِ يَتَجَسَدُ فِي تَقْدِيمِ مَوْعِظَةٍ وَنَصِيحَةٍ لَهُ(لِلْمُتَلَقِي) جَوْهَرُهَا أَنَّنِي أَنْصَحُكَ بِالْإِبْتِعَادِ عنْ تَعَاطِي اَلْتَدْخِينِ وَهَذَا اَلْمَدْلُولُ غَائِبٌ عَنْ سَطْحِ اَلْمَلْفُوظِ، أَيْ بِشَكْلٍ خَفِي غَيْرِ ظَاهِرِي، وَيُسْتَنْتَجُ هَذَا اَلْمَدْلُولُ اِنْطِلَاقًا مِنْ مُعْطَيَاتٍ وَمَرْجَعِيَاتٍ تُحْتَكَمُ إِلَى عَامِلَيْ اَلْسِيَاقِ وَاَلْقَوْلِ فِي آنٍ وَاحِدٍ، عَلَاوَةً عَلَى هَذَا هُوَ بِمَثَابَةِ لُبِّ وَجَوْهَرِ اَلْخِطَابِ كُلِّهِ.[1]

وَنَجِدُ فِي مَوْضِعٍ آخَرٍ تَعْرِيفًا لِلْضِمْنِيَاتِ وَحَتَى إِنْ لَمْ يَرِدْ بِهَذَا اَلْإِصْطِلَاحِ بِالْضَبْطِ بَلْ وَرَدَ بِاسْمِ اَلْمُضَمِنَاتِ عِنْدَ أوريكيوني (oreechioni) فِي كِتَابِهَا اَلْمُضْمَرِ وَعَلَى

[1] ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 2006م، ص48.

حَسَبِ كَلَامِهَا:" **تَضُمُ طَبَقَةُ اَلْمُضَّمِنَاتِ كُلَّ اَلْمَعْلُومَاتِ اَلْقَابِلَةِ لِلْنَقْلِ عَبْرَ قَوْلٍ مُعَيَنٍ وَاَلَّتِي يَبْقَى تَفْعِيلِهَا خَاضِعًا لِبَعْضِ خَاصِيَةِ اَلْسِيَاقِ اَلْتَعْبِيرِي اَلْأَدَائِي وَهَكَذَا... وَقَدْ تُضَمَنُ جُمْلَةٌ مِثْلَ: إِنَّهَا اَلْثَامِنَةِ بِحَسَبِ ظُرُوفِ فِعْلِ قَوْلِهَا، مَعْنَى أَسْرِعْ أَوْ لَا تَسْتَعْجِلْ.... تُعَدُّ بِمَثَابَةِ اَلْقِيَمِ اَلْمُتَبَدِلَةِ وَالِمُتَقَلِبَةِ وَاَلَّتِي يُمْكِنُ اِبْطَالُهَا.**"[1]

يُسْتَدَلُ مِنْ هَذَا اَلْمَفْهُومِ أَنَّ اَلْدَلَالَةَ اَلْرَسْمِيَةُ وَاَلْحَقِيقِيَةِ لِلْمَعلُومَاتِ أَوْ اَلْكَلَامِ بِصفَةٍ عَامَةٍ، أَنَّهَا غَيْرُ ثَابِتَةٍ فِي دَلَالَةٍ وَحِيدةٍ، بَلّ لَهَا مَعَانٍ وَمَدْلُولَاتٍ مُتَنَوِعَةٍ لِلْقَوْلِ اَلْوَاحِدِ، وَهَذِهِ اَلْمَدْلُولَاتِ تُسْتَخْلَصُ عَنْ طَرِيقِ تَأْوِيلِ وَتَفْسِيرِ اَلْمُخَاطِبِينَ لِفَكِ شِيفْرَةِ اَلْرِسَالَةِ اَلْتَبْلِيغِيَّةِ وَهَذَا بِالْعَوْدَةِ إِلَى اَلْسِيَاقَاتِ اَلّذِي انْتِجَتْ فِيهِ، وَاَلْظُرُوفِ بِاخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا السِيَاقِيَةِ وَغَيْرِ اَلْسِيَاقِيَةِ.

وَهَذِهِ اَلْاِسْتِنْتَاجَاتِ وَاَلْاِسْتِدْلَالَاتِ تَتَفَاوَتُ مِنْ مُتَلَقِي لِآخَرٍ، فَكُلُّ طَرَفٍ كَيْفَ يَسْتَوْعِبُ وَيَسْتَقْبِلُ اَلْفِكْرَةِ اَلْتَضْمِينِيَةِ عَلَى حَسَبِ مَهَارَاتِهِ وَقُدُرَاتِهِ اَلْذِهْنِيَةِ.

وَعَرّفَ جون سورل (J.Searle) اَلْضِمْنِي بِشَكْلٍ أَكْثَرِ وُضُوحًا وَبَسِيطًا يَتَلَخَصُ فِي: "**اعْتِبَارِهِ "أيّ اَلْضِمْنِي" اَلْشَرْطَ اَلْسِيَاقِي لِنَجَاحِ عَمَلٍ لُغَوِي.**"[2]

يَجْعَلُ جون سورل(J.Searle) اَلْضِمْنِي فِي أَعْلَى اَلْمَرَاتِبِ اَلّتِي يُؤَدَى بِوَاسِطَتِهَا نَجَاحِ اَلْعَمَلِيَةِ اَلْلُغَوِيَةِ بِحَدِ ذَاتِهَا، وَهُوَ بِدَوْرِهِ لَا يَخْرُجُ وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْ عَامِلِ اَلْسِيَاقِ اَلْلُغَوِي وَغَيْرِ اَلْلُغَوِي اَلّتِي قِيلَ فِيهَا اَلْكَلَامِ. حَتَى يُفْهَمُ وَيُسْتَنْتَجُ كَمَا قَصَدَهَا صَاحِبُهَا اَلْأَصْلِي، أَيّ: اَلْمُبَلِغِ وَحُصُولِ اَلْفَائِدَةِ، وَاسْتِطَاعَةِ اَلْمُبَلَغْ فَهْمَ مَقْصُودِ اَلْسَابِقِ (اَلْمُبَلِغْ).

[1] كاترين كيربرات أوريكيوني، المضمر، تر: ريتا خاطر، مر: جوزيف شريم، د د، ط1، بيروت، لبنان، 2008م، ص74.

[2] فيليب بلا نشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ص146.

2.2 المتضمنات القولية:

تَتَعَدَدُ آلِيَاتِ اَلْتَحْلِيلِ اَلْتَدَاوُلِي لِلْخِطَابِ اَلْلِسَانِي، اَلّتِي تَسْعَى إِلَى تَفْسِيرِ وَشَرْحِ اَلْكَلِمَاتِ وَاَلْتَعَابِير أَثْنَاءَ اَلْعَمَلِيَةِ اَلْتَوَاصُلِيَةِ اَلْتَبْلِيغِيَةِ، مِنْ بَيْنِهَا اَلْمُتَضَمَنَاتِ اَلْقَوْلِيَةِ وَيُقْصَدُ بِهَذِهِ اَلْأَخِيرَةِ فِي أَبْسَطِ تَعْرِيفِهَا عَلَى أَنّهَا: " **مَفْهُومٌ تَدَاوُلِي اجْرَائِي يَتَعَلَقُ بِرَصِدِ جُمْلَةٍ مِنَ اَلْظَوَاهِرِ اَلْمُتَعَلِقَةِ بِجَوَانِبٍ ضِمْنّيَةِ، وَخَفِيَةِ مِنْ قَوَانِينِ اَلْخِطَابِ، تَحْكُمُهَا ظُرُوفُ اَلْخِطَابِ اَلْعَامَةِ كَسِيَاقِ اَلْحَالِ وَغَيْرِهِ.**"[1]

تُعَدُّ اَلْمُتَضَمِنَاتِ اَلْقَوْلِيَةِ مِنَ اَلْمَفَاهِيمِ اَلْتَدَاوُلِيَةِ اَلّتِي تَهْتَمُ وَتَخْتَصُ بِتَسْلِيطِ اَلْضَوْءِ عَلَى اَلْجُمَلِ اَلْلُغَوِيَةِ، وَما تَنْطَوِي عَلَيْهِ مِن جَوَانِبِ وَخَبَايَا مُبَاشِرَةٍ وَغَيْرُ مُبَاشِرَةٍ، وَهَذَا بِالاحْتِكَامِ إِلَى اَلْقَوَاعِدِ وَالأُسُسِ اَلّتِي تَضْبِطُ وَتَحْكُمُ اَلْخِطَابَ وَظُرُوفِ انْتَاجِهِ، عَلَى سَبِيلِ اَلْمِثَالِ: سِيَاقُ اَلْحَالِ وَاَلْدَوَافِعُ اَلّتِي أَدَّتْ إِلَى انْتَاجِ اَلْخِطَابِ اَلْلُغَوِي.

وَمِنْ بَيْنِ هَذِهِ اَلْمَفَاهِيمِ اَلْاجْرَائِيَةِ اَلّتِي تَنْدَرِجُ ضِمْنَ اَلْمُتَضَمِنَاتِ اَلْقَوْلِيَةِ: الافْتِرَاضُ المُسْبَقُ وَاَلْقَوْلِ المُضْمَرِ.

1.2.2: الافتراض المسبق.

"**هُوَ إِحْدَى اَلْوَسَائِلِ اَلّتِي تُقَدِمُهَا اَلْلُغَةُ مِنْ أَجْلِ اَلْإِسْتِجَابَةِ لِلْحَاجَةِ اَلْمُسْتَتِرَةِ اَلّتِي يَشْعُرُ بِهَا اَلْمُتَحَدِثُونَ فِي عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ اَلْمَوَقِفِ، وَهُوَ وَسِيلَةٌ لِلْقَوْلِ وَعَدَمِ اَلْقَوْلِ.**"[2]

يَتَبَيَّنُ مِنْ خِلَالِ هَذَا اَلْنَصَّ أَنَّ اَلْإِفْتِرَاضَ اَلْمُسْبَقُ مِنْ ضِمْنِ اَلْوَسَائِلِ وَاَلْآلِيَاتِ اَلّتِي تَمْنَحُهَا اَلْلُغَةَ بُغْيَةَ اَلْإِسْتِجَابَةِ لِلْأُمُورِ اَلْخَفِيَةِ وَاَلْمُبْهَمَةِ اَلّتِي تَعْتَرِي اَلْمُتَحَدِثِينَ في أَغْلَبِ اَلْمَوَاقِفِ اَلْتَوَاصُلِيَةِ، وهُوَ يُمَثِلُ فِي اَلْوَقْتِ ذَاتِهِ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ اَلْقَوْلِ وَعَدَمِ اَلْقَوْلِ.

---

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ص30.

[2] جان سيرفوني، الملفوظية، تر: قاسم مقداد، دار الاتحاد الكتاب العرب، د ط، د ب، 1997م، ص106.

وَتُشَكِلُ اَلْإِفْتِرَاضَاتُ اَلْخَلْفِيَاتِ اَلْمَعْرِفِيَةِ اَلْمُسْبَقَةِ لِمُخْتَلَفِ اَلْأَفْكَارِ، لِتَحْقِيقِ وَبُلُوغِ اَلْتَوَاصُلِ وَاَلْمُسَاهَمَةِ فِي انْجَاحِ اَلْعَمَلِيَةِ اَلْإِتِصَالِيَةِ بَيْنَ أَطْرَافِهَا (المُتَحَدِثِينِ).

وَلَكِنَ هَذِهِ اَلْإِفْتِرَاضَاتِ بِالضَرُورَةِ اَلْإِلْزَامِيَةِ لَا تَخْرُجُ عَنْ اَلْسِيَاقَاتِ وَاَلْظُرُوفِ اَلّتي سَاهَمَتْ وَأَدَتْ إِلَى نَسْجِ اَلْمَلْفُوظِ اَلْلُغَوي، هَذَا زِيَادَةً عَلِى اَلْبْنَاءِ اَلْتَرْكِيبِي اَلْعَامِ.

كَمَا نَجِدُ مَفْهُومَ اَلْإِفْتِرَاضِ اَلْمُسْبَقِ يَكْتَسِي طَابِعًا مُتَسعًا لِيَشْمُلَ جَمِيعَ اَلْمَعْلُومَاتِ اَلْعَامَةِ، وَاَلْسِيَاقِ اَلْمَقَامِي، دُونَ اغْفَالِ اَلْعُرْفِ اَلْإِجْتِمَاعِي بَيْنَ أَطْرَافِ اَلْرِسَالَةِ اَلْتَخَاطُبِيَةِ مرسل، مرسل إليه، رسالة...إلخ."[1]

وَاَلْإِفْتِرَاضُ اَلْمُسْبَقُ مُعَرَّفٌ مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِ كَثِيرٍ منَ اَلْلِسَانِيِينَ عَلَى أَنَّهُ:" **هُوَ عَلَاقَاتُ اَلْقَوْلِ اَلْتَضْمِينِيَةِ، طَالَمَا تَكُونُ بِالحَدِّ اَلْأَدْنَى مُدْرَجَةً فِيهِ، بِشَكْلٍ مُسْتَقِرٍ ثَابِتٍ أَيّ: تَكُونُ عَلَاقَاتٍ تَضْمِينِيَةٍ ضَرُورِيَةٍ."**[2]

نَسْتَخْلِصُ مِنَ اَلْتَعرِيفِ اَلْسَالِفِ أَنَّ الافْتِرَاضِ اَلْسَابِقِ هُوَ عِبَارَةً عَنْ مَجْمُوعَةٍ مِنَ اَلْعَلَاقَاتِ، اَلّتِي تُسْتَشَفُ مِنَ اَلْعِبَارَاتِ اَلْمُشَفِرَةِ، أَيّ: اَلْمَعْلُومَاتِ اَلْمَوْجُودَةِ فِي اَلْظَوَاهِرِ اَلْلُغَوِيَةِ، وَاَلّتِي تُدْرَكُ بِوَاسِطَةِ اَلْمُتَلَقِي. لِهَذَا حَظِيَ بِأَهَمِيَّةٍ بَارِزَةٍ وعِنَايَةٍ قُصْوَى فِي اَلْتَحْلِيلِ اَلْتداوُلِي لِلْخِطابَاتِ اَلْلِسَانِيَةِ اَلْتَوَاصُلِيَّةِ، حَتَّى اعْتُبِرَ أَنَّ اَلْتَدَاوُلِيَةَ قَائِمَةٌ عَلَى هَذَا أَيّ: الافْتِرَاضَاتِ المُسْبَقَةِ.

وَنَجِدُ تَعرِيفًا بَسِيطًا لِلْإِفْتِرَاضَات **هُوَ" أُمُورًا" نَقْصِدُ قَوْلَهَا" مِنْ دُونِ أَنْ نَقْصِدَ قَوْلَهَا"**[3]

أَيّ: تَحْقِيقُ أَكْبَرَ مَرْدُودٍ بِأَقَلَ مَجْهُودٍ وَهُوَ مَا يُفْتَرَضُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ أَفْكَارٍ مُسْبَقَةٍ يَحْوِيهَا لِنَجَاحِ اَلْتَوَاصُلِ.

---

[1] ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، دار مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، مصر، 2012م، ص86.

[2] كاترين كيربرات أوريكيوني، المضمر، تر: ريتا خاطر، ص56.

[3] المرجع نفسه، ص56.

فَاَلْمُتَكَلِمُ يُخَاطِبُ اَلْمُتَلَقِي بِكَلَامِهِ اَلْصَادِرِ حَامِلًا مَعَانِي تَبْلِيغِيَةٍ مُعَيَّنَةَ، مَعَ اَلْعِلْمِ أَنَّ اَلْمُتَلَقِي يَمْلِكُ مَعْلُومَاتٍ آنِفًا عَلَى سَبِيلِ اَلْتَمْثِيلِ: اَصْلِحْ اَلْطَاوِلَةَ. فَالأَمْرُ اَلْبَدِيهِي أَنَّ اَلْطَاوِلَةَ فِيهَا عَطَبٌ مَا، وَهُنَاكَ حَافِزٌ يَسْتَدْعِي اصْلَاحَهَا، وَيَرْجِعُ هَذَا بِرُّمَتِهِ إِلَى مُرَاعَاةِ سِيَاقِ اَلْحَالِ.

"**فِي اَلْأَخِيرِ يُمْكِنُ اَلْخُرُوجَ بِنَتِيجَةٍ وَلَوْ نِسْبِيَةً لِهَذَا الإِفْتِرَاضِ اَلْسَابِقِ أَنَّهُ: " يَشِيرُ الإِفْتِرَاضُ اَلْمُسْبَقِ إِذَنْ، إِلَى اَلْتَسْلِيمِ بِصِحَةِ مَقُولَةٍ أَوْ فِكْرَةٍ، وَدَعْوَةُ اَلْسَامِعِ، أَوْ اَلْقَارِئِ إِلَى اَلْتَسْلِيمِ بِهَا، بَيْنَمَا يَنْشَغِلُ بِتَلَقِي خَبَرٍ أَوْ إِسْنَادِ آخَرٍ.**"[1]

يُوحِي اَلْقَوْلُ إِلَى أَنَّ: الإِفْتِرَاضَاتِ اَلْمُسْبَقَةِ تَسْعَى إِلَى اِيهَامِ اَلْمُتَلَقِي أَوْ مُسْتَقْبِلَ اَلْرِسَالَةِ بِمَدَى صِدْقِ اَلْفِكْرَةِ اَلْرَئِيسِيَةِ، اَلْتِي يُرَادُ تَبْلِيغَهَا مَعَ حَتْمِيَةِ اَلْإِيمَانِ بِأَنَّهَا صَائِبَةً، بَيْدَ أَنَّ اَلْمُخَاطَبْ يَكُونُ مُشْتَغِلًا بِمَعْلُومَةٍ أَوْ خبرٍ آخَرٍ.

لِهَذَا نَلْحَظُ أَنَّ الإِفْتِرَاضَاتِ حَظِيَتْ بِاهْتِمَامٍ وَعِنَايَةٍ فَائِقَةٍ لَدَى اَلْبَاحِثِينَ وَاَلْدَارِسِينَ مِنْ مُخْتَلَفِ اَلْإِتِجَاهَاتِ اَلْلِسَانِيَةِ، وَشَكَلَتْ نُقْطَةَ تَدَخُلٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اَلْمُضْمَرَاتِ.

فالافتراض المسبق هو النمط الأوّل من أنماط المتضمنات القوليّة.

[1] بهاء الدين محمد يزيد، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، تبسيط التداولية، دار شمس، ط1، القاهرة، مصر، 2010م، ص49.

2.2.2: الأقوال المضمرة:

تَنْدَرِجُ اَلْأَقْوَالِ اَلْمُضْمَرَةِ فِي نِطَاقِ مُتَضَمِنَاتِ اَلْقَوْلِ:" هِيَ اَلْنَمَطُ اَلْثَانِي مِنْ مُتَضَمَنَاتِ اَلْقَوْلِ، وَتَرْتَبِطُ بِوَضْعِيَةِ اَلْخِطَابِ وَمَقَامِهِ عَلَى عَكْسِ اَلْإِفْتِرَاضِ اَلْمُسْبَقِ اَلّذِي يُحَدَدُ عَلى أَسَاسِ مُعْطَيَاتٍ لُغَوِيَةٍ."[1]

بَيْتُ اَلْقَصِيدِ فِي هَذَا اَلْمَفْهُومِ أَنَّ اَلْقَوْلَ اَلْمُضْمَرِ مِنْ بَيْنِ اَلْآلِيَاتِ اَلْتَحْلِيلِيَةِ فِي اَللِسَانِيَاتِ اَلْتَدَاوُلِيَةِ، وَذَلِكَ بِاعْتِبَارِهِ اَلْنَمَطَ اَلْثَانِي مِنْ أَنْمَاطِ مُتَضَمَنَاتِ اَلْقَوْلِ بَعْدَ اَلْإِفْتِرَاضِ اَلْمُسْبَقِ، فَالقَولُ اَلْمُضْمَرِ يَخْتَصُ وَيَتَعَلَقُ بِالخِطَابِ بِحَدِّ ذَاتِهِ وَمُرَاعَاةِ اَلْمَقَامِ اَلْتَخَاطُبِي أَوْ اَلْسِيَاقَاتِ اَلْمَقَامِيَةِ.

كَمَا يُشِيرُ مَسْعود صحراوي إِلَى اَلْفُرُوقِ اَلْجَوْهَرِيَةِ بَيْنَ الافْتِرَاضِ وَاَلْمُضْمَرِ بِاعْتِبَارِ اَلْأَوّلِ (الافتراض) يَهْتَمُ وَيَتَعَلْقُ بالمُعْطَيَاتِ اَلْلُغَوِيَةِ، أَمَا فِيمَا يَخُصُ اَلْثَانِي (القول المضمر) يَتَعَلَقُ بالخِطَابِ وَمُتَقْضَى اَلْأَحْوَالِ.

وَلِتَقْرِيبِ اَلْمَعْنَى أَكْثَرْ نَرْصُدُ المِثَالُ التالي: إِنَّ اَلْثَلْجَ كَثِيفٌ اليَومَ. فالمُتَلَقِي عِنْدَ سَمَاعِهِ لِتِلْكَ العِبَارَةِ يُدْرِكُ فِي مُخَيِلَتِهِ أَنَّ المُخَاطِبْ يُقَدِّمُ لَهُ أَمْرًا بالبَقَاءِ فِي المَنْزِلِ أَو عَدَمِ الخُرُوجِ مِنَ البيتِ مُطْلَقًا، رَيْثَمَا تَنْخَفِضُ نِسْبَةَ كَثَافَةِ الثُلُوجِ وَتَهْدَأَ العَاصِفَةُ...وَهَذِهِ بَعْضُ التَأْوِيلَاتِ الّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَذْكُرَهَا.

بَيْدَ أَنَّ التأْوِيلَاتِ وَالشُرُوحَاتِ والقِرَاءَاتِ تَفْتَحُ ذِرَاعِيْهَا كُلَما تَعَدَدَتْ وَتَنَوَعَتِ الإِشَارَاتِ السِيَاقِيَة وغَيْرِ السِيَاقِيَةِ، دُونَ تَغَاظِي النَظَرْ عَنْ الظُرُوفِ الّتِي انْتِجَ وَقِيلَ فِيهَا الخِطَابِ التَوَاصُلِي."[2]

فالقول المضمر يترك تأويله لمتلقي الخطاب ومسْتقبله دون اغفال عامل السياقِ.

---

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، 32.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص32.

3.2: الاستلزام الحواري.

الاِسْتِلْزَامُ الحِوَارِي مِنَ العَنَاصِرِ الجَوْهَرِيَةِ وَالأَسَاسِيَةِ التِّي تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا التَدَاوُلِيَةَ، فِي تَأْوِيلِ وَتَفْسِيرِ الخِطَابَاتِ اللِسَانِيَةِ، وَكَذَلِكَ مِنْ أَهَمَ اَلْعَنَاصِرِ التّي بُنِيَتْ عَلَيْهَا(التداولية) " **تَزَامَنَتْ نَشْأَتُهُ مَعَ المُحَاضَرَاتِ التِّي أَلْقَاهَا غرايس (Grice) في جَامِعَةِ هارفارد سنة 1967م، فَقَدّمَ فِيهَا تَصَوُرَهُ لِهَذَا الجَانِبِ، وَأَهَمَ الأُسُسِ الّتي يَقُومُ عَلَيْهَا، حَيْثُ سَعَى غرايس (Grice) لِتَوْضِيحِ الاِخْتِلَافِ بَيْنَ مَا يُقَالُ وَمَا يُقْصَدُ.** "[1]

كَانَ غرايس (Grice) من أَوَائِلِ الفَلَاسِفَةِ اَللُغَوِيِينِ الّذِينَ عنَوْ بِدِرَاسَةِ أَسَاسٍ مِنْ أُسُسِ اَلْتَحْلِيلِ التَدَاوُلِي لِلُّغَةِ، يَتَجَسَدُ فِي الاِسْتِلْزَامِ الحِوَارِي، أَوْ كَمَا يُسَمَى الاِسْتِلْزَامِ التَخَاطُبِي، أَوْ مَبْدَأُ التَعَاوُنِ، وَهَذَا عِنْدَ إِلْقَائِهِ لِمُحَاضَرَاتِ فِي إِحْدَى الجامعاتِ الأمريكية (جامعة هارفارد 1967م). وَرَكَزَ عَلَى نُقْطَةٍ وَاحِدَةٍ هِي تَوْضِيحِ اَلْتَبَايُنِ بَيّنَ مَا يُتَلَفَظُ بِهِ وَمَا يُسْتَنْتَجُ، وَهَذَا بِالعَوْدَةِ إِلَى السِيَاقِ الّذِي يَحْكُمُ وَيُقَنِنُ الخِطَابِ.

مِنْ شُرُوطِ اِنْجَاحِ الاسْتِلْزَامَاتِ الحِوارِيَةِ وَعَدَمِ فَشَلِهَا فِي الإِبْلَاغِ، يَقُومُ عَلَى دَعَامَتَيْنِ اثْنَيْنِ هُمَا: أَنْ يَكُونَ اَلْمُتَلَقِي وَاَلْمُرْسَلِ مُتَعَاوِنَيينِ عَلَى تَحْقِيقِ اَلْهَدَفِ اَلْمَنْشُودِ، مِنْ خِلَالِ اَلْبَوْحِ الّذي بالكَلَامِ، انْخَرَطَا فِي أَدَائِهِ.

وَهَذَا الهَدَفُ المَرْجُوُ الوُصُولِ إِلَيْهِ مُحَدَدٌ مِنْ قِبْلِ خَوْضِهِمَا الحَدِيثِ أَوْ فِي حِينِهِ أَيٌّ أَثْنَاءِ الكَلَامِ.[2]

خلاصة القول إنّ: الاستلزام الحواري يقوم المشاركة بين الطرفين للخطابات والرسالاتِ التواصليّة المنتج والمسْتقبلِ.

---

[1] نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب "دراسة معجمية" ص84.

[2] ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، دار المركز الثقافي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1998م، ص238.

" فالإِسْتِلْزَامُ مَفْهُومٌ لِسَانِي بْرَاجْمَاتِي يَتَغَيَرُ بِتَغَيُرِ ظُرُوفِ انْتَاجِ العِبَارَةِ اللُغَوِيَةِ، وَالإِقْتِضَاءُ يَمْتَازُ بِكَوْنِهِ لَا يَتَغَيُرِ بِتَغَيُرِ اسْتِعْمَالِ العِبَارَةِ، فَهُوَ مُلَازِمٌ لَهَا فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ."[1]

يُشِيرُ هَذَا الكَلَامُ إِلَى أَنَّ الإِسْتِلْزَمَاتِ الحِوَارِيَة مِنَ اَلْمَبَاحِثِ اللِسَانَيَةِ التدَاوِلِيَةَ، الّتِي تَخْتَلَفُ وَتَتَغَيُرُ بِتَعَدَدُ أَضرُبِ العِبَارَاتِ للغَةِ الّتي سِيقَ فِي خِضَمِهَا المَلْفُوظِ.

كَمَا يُلَمِحُ البَاحِثُ إِلَى نِقَاطِ الإِخْتِلَافِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الإِقْتِضَاءِ، باعْتِبَارِ هَذَا الأَخِير (الاقتضاء) على أَنّهُ يَمْتَازُ بِخَاصِيَةِ الثُبُوتِ وَعَدَمِ تَرْجِيحِ كَفَتَيْهِ أَثْنَاءَ الإِسْتِخْدَامَاتِ اللُغَوِيَةِ، عَلَى عَكْسِ الإِسْتِلْزَامِ الحِوَارِي الّذِي يَتَمَاشَى مَعَ سِيَاقَاتِ اَلْخِطَابِ.

قَدْ تَفَطَنَ الدارِسُونَ واللِسَانِيُونَ التَدَاوُلِيُونَ على أَنَّ مُخْتَلَفَ الكَلِمَاتِ المُسْتَخْدَمَةِ فِي التَوَاصُلِ، تَدُّلُ وَتُلَمِحُ بِصِفَتِهَا عَلى مَعْنَى غَيْرَ مُحْتَوَاهَا الأَصْلِي، وَيَبْرُزُ ذَلِكَ بِشَكْلٍ وَاضِحٍ فِي المِثَالِ المُوَالِي: أَثْنَاءَ حِوارٍ بَيْنَ مُعَلِمَيْنِ مِنْ خِلَالِ اسْتِفْسَارِهِمْ عَنْ مُسْتَقْبَلِ تِلْمِيذٍ مُعَيَنٍ خَصِاهُ بالذِكْرِ. هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُخْتَرِعًا بَارِعًا؟

فَكَانَتِ الاجَابَةِ عَلَى النَحْوِ التالي: إِنَّهُ شَاعِرًا بَارِعًا.

فَهَذِهِ العِبَارَةُ الأَخِيرَةُ تَحْمِلُ مَدْلُولَيْنِ فِي الوقت نفسه، الأَوّلُ حَرْفِي وثَانِيَهُمَا يُسْتَلْزَمُ مِنَ الحِوَارِ. مَضْمُونَهُ أَنَّ التِلْمِيذَ يَمِيلُ إِلَى الشِعْرِ أَكْثَرَ مِنَ الأُمُورِ العِلْمِيَةِ لِأَنَّهُ لَا يَمْتَازُ بالذَكَاءِ الكَافِ لِيَكُونَ مُخْتَرِعًا.[2]

النتيجة الجوهرية من هذا الحوار الّذي جرى بين الأستاذين هو أنّه اسْتطاع الإجابة عن السؤال من دون ذكر التفاصيلِ المسبباتِ وهذا اسْتُنْتِجَ عن طريقِ خاصِيَةِ الاستلزامِ.

[1] محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص87.

[2] ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص33.

قَسَمَ بول غرايس(Grice) الإستلزام الحواري إِلَى أَرْبَعَةِ فُرُوعٍ أَسَاسِيَةٍ تَتَمَثَّلُ فِي العَنَاصِرِ التَالِيَةَ، إِلَّا أَنَّهُ عَلَى الرُغْمِ مِنَ اخْتِلَافِ الدَارِسِينَ فِي الْتَوَاضُعِ وَالاِصْطِلَاحِ عَلَى تَسْمِيَّةٍ مُحَدَدَةٍ، إِلَّا أَنَّهُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنَّهَا أَرْبَعَةُ قَوَاعِدَ تَحْكُمُ الاْسْتِلْزَامَاتِ الحِوَارِيَةُ وَهِيَ:

1. قَاعِدَةُ الكَمِ(الكمّيَةِ): وَهِيَ تَقْدِيمُ القَدْرُ الكَافِ وَالمَطْلُوبِ مِنَ الأَخْبَارِ وَالمَعْلُومَاتِ دُونَ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ.

2. قَاعِدَةُ الكَيْفِ(الكَيْفِيَةِ): أَيْ تَقْدِيمِ المَعْلُومَاتِ الّتِي تَمْتَازُ بالصِدْقِ وَالمِصْدَاقِيَةِ وَالمَعْلُومَةُ اَلْمَوْثُوقٌ مِنْ صِحَتِهَا وَصَوَابِهَا، دُونَ اَلْمَعْلُومَاتِ الّتِي تَحْتَمِلُ اَلْشَكِّ وَاَلْظُّنُونِ. الاِحْتِرَازُ مِن عَدَمِ الوُقوعِ فِي المَزَالِقِ.

3. قَاعِدَةُ المُلَائمَةُ: يَتَلَخَصُ مَضْمُونُ هَذِّهِ الْقَاعِدَةُ الْثَالِثَةُ أَنْ تَكُونَ مُطَابِقَةُ الكَلَامُ لِلْمَقَامِ الّذِي يُقَالُ فِيهِ اَلْكَلَامُ، عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ: لَا يَتَفَوَهُ اَلْمُعَزِي فِي جَنَازَةٍ بِكَلَامٍ وَعِبَارَاتٍ تَدُّلُ عَلَى اَلْمُنَاسَبَاتِ السَعِيدَةِ وَاَلْتَهْنِئَةِ وغيْرِهَا مِنَ العِبَارَاتِ الّتِي تُسْتَخْدَمُ فِي الأَفْرَاحِ...إلخ.

4. قَاعِدَةُ الطَرِيقَةُ (الجِهَةِ): يَجِبُ اَلْاِبْتِعَادُ عَنِ اَلْغُمُوضِ وَاَلْاِبْهَامِ فِي الحَدِيثِ، أَيْ: اَلْتَحَلِّي بالوُضُوحِ وَمُخَاطَبَةِ اَلْمُتَلَقِي عَلَى حَسَبِ قُدُرَاتِهِ اَلْذِهْنِيَةِ.[1]

وَتَنْدَرِجُ ضِمْنَ هَذِهِ اَلْتَفْرِيعَاتِ اَلْأَرْبَعَةِ أَقْسَامٌ عَنْهَا: كُلُّ قَاعِدَةٍ مِنَ اَلْقَوَاعِدِ اَلْآنِفَةِ اَلْذِكْرِ تَنضبط بقواعد ويمكن الاسْتِنْتاجِ أنّ:

أَنَّ اَلْاِسْتِلْزَامِ اَلْحِوَارِي يَتَجَزَّأُ إِلَى أَجْزَاءٍ أَرْبَعَةٍ وكُلُّ جُزْءٍ يَنْقَسِمُ بِدَوْرِهِ هُوَ الآخَرُ إِلَى فُرُوعٍ مُتَنَوِعَةٍ، كَمَا نَسْتَخْلِصُ أَنَّ:

1. اتِبَاعُ كُلِّ عُنْصُرٍ مِنَ اَلْعَنَاصِرِ اَلْسَابِقَةِ يُؤَدِي إِلَى تَسْهِيلِ اَلْمُحَادَثَةِ وَاَلْمُسَاهَمَةِ فِي دَوْرِهَا اَلْفَعَّالِ اَلْمُتَمَثِلِ فِي اَلْاِبْلَاغِ وَحُصولِ اَلْفَائِدَةِ.

[1] ينظر: بهاء الدين محمد يزيد، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب تبسيط التداولية، ص40.

2. يُفْضِي اَلْاِسْتِلْزَامُ إِلَى اَلْمُشَارَكَةِ اَلْفِعْلِيَةِ لِلْمُخَاطَبِ وَاَلْمُخَاطِبِ.

. يُمَثِّلُ الاِسْتِلْزَامُ اَلْغْرَايْسِي جِسْرًا رَابِطًا وَوَثِيقًا بَيْنَ اَلْمَعَانِي اَلْحَرْفِيَةِ (مُبَاشِرَةِ) وَاَلْمَعَانِي اَلْضِمْنِيَةِ (غير مباشرة).

4. هُنَاكَ تَدَاخُلٌ بَيْنَ المَسْتَلْزَمَاتِ اَلْتَخَاطُبِيَةِ وَاَلْمَعَانِي اَلْضِمْنِيَةِ.

4.2. الأفعال الكلامية.

1.4.2: مفهومها.

تُعَدُّ اَلْأَفْعَالُ اَلْكَلَامِيَةَ نَظَرِيَةً مِنْ نَظَرِيَاتِ التداولية وَآلِيَةً مِنْ آلِيَاتِ تَحْلِيلِها اللِسَانِي (اَلْتَدَاولِية)، وَهِيَ تُمَثِلُ اَلْدَرَجَةَ اَلْثَالِثَةُ مِنْ دَرَجَاتِ اَلْتَدَاوُلِيَةِ لِهَذَا تُعدُّ اَلْعُنْصُرَ اَلّذِي خُتِمَتْ بِهِ اَلْمَفَاهِيمِ اَلْتَدَاوُلِيَةِ، لِأَنَّهَا تَهْتَمُ بالأَفْعَالِ اَلْلُّغَوِيَةِ أَثْنَاءَ مَرْحَلَةِ اَلْإِنْتَاجِ أَيْ: اَلْأَدَاءْ وَاَلْإِنْجَاز.

وَاَلْمُتَعَارَفُ عَلَيْهِ أَنَّ هَذِهِ اَلْنَظَرِيَةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الفَيْلَسُوفِ الأَمْرِيكِي جان أوستين(Austin) فِي كِتَابِهِ اَلْمُكَنَى " كَيْفَ تَفْعَلُ الأَشْيَاءَ بالكَلِمَاتِ؟

وَتُعَرَّفُ عَلَى أَنَّهَا:" **اَلْفِكْرَةُ اَلْأُولَى اَلّتِي نَشَأَتْ مِنْهَا اَلْلِسَانِيَاتُ اَلْتَدَاوُلِيَةُ وَمِنْ أَهَمِ مَرَاجِعِهَا، بَلْ يُمْكِنُ اَلْتَأْرِيخُ مِنْهَا اَلْتَدَاوُلِيَةُ، حَيْثُ اِرْتَبَطَتْ بِإِنْجَازِهَا اَلْفِعْلِي لِلْوَاقِعِ**"[1]

يُوحِي هَذَا التَعْرِيفُ إِلَى أَنَّ نَظَرِيَةَ الأَفْعَالُ الكَلَامِيَةُ سَاهَمَتْ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ فِي نَشْأَةِ اللِسَانِيَاتِ التَدَاوُلِيَةُ اَلْفِعْلِيَةُ، بَلْ بِمَثَابَةِ أَبْرَزِ مَلَامِحَهَا وَمَرَاجِعَهَا، فَمُجَرَدُ اَلْقَوْلِ كَلِمَةَ التَدَاوُلِيَةُ تَتَبَادَرُ إِلَى اَلْأَذْهَانِ مُبَاشَرَةً وَبِطَرِيقَةٍ عَفْوِيَةٍ فِكْرَةَ أَفْعَالُ كَلَامِ، أَوْ كَما سَمَّاهَا أُوستين (Austin)أَلْعَابُ اللُّغَةِ، وَيَعُودُ اَلْسَبَبُ فِي ذَلِكَ لِمَا تَحْوِيهِ مِنْ تَجْسِيدٍ فِعْلِي لِلْوَاقِعِ عَنْ طَرِيقِ اَلْكَلِمَاتِ وَاَلْعِبَارَاتِ اَلْمُتَلَفَظِ بِهَا مِنْ طَرَفِ اَلْفَعِلِينَ فِي اَلْنَشَاطَاتِ اللُّغَوِيَةِ. كما يُعَرِّفُ عبد القادر فهيم الشيباني فِي مُؤَلِفِهِ اَلْمُصْطَلَحَاتِ المَفَاتِيحِ فِي اللِسَانِيَاتِ الْأَفْعَالِ الكَلَامِيَةِ أَنَّهَا:" **تُعْنَى بِدِرَاسَةِ ذَلِكَ اَلْنَمَطِ اَلْخَاصِ مِنَ اَلْفِعْلِ اَلْمُشْكَلِ لِفِعْلِ اَلْلُغَةِ**".[2] يُشِيرُ هَذَا القَوْلُ أَنَ: نَظَرِيَةَ أَفْعَالِ اَلْكَلَامِ لأوستين (Austin) صُلْبُ

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص86.

[2] عبد القادر فهيم الشيباني، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ص11.

اهْتِمَامِهَا هَوَ اخْتِصَاصُهَا فِي دِرَاسَةِ وَتَصَفُحِ اَلْأَنْمَاطِ اَلْخَاصَةِ مِنَ اَلْأَفْعَالِ الّتِي بِهَا تَتَشَكَلُ اَللُغَةُ الّتِي نَسْتَخْدِمُهَا فِي اَلْتَوَاصُلِ وَاَلْاِتِصَالِ، أَيْ تَدْرُسُ اَلْفِعْلَ أَثْنَاءَ اَلْأَدَاءِ.

تَنْظُرُ هَذِهِ اَلْنَظَرِيَةُ لِلْغَةِ عَلَى أَنَّهَا أَدَاءِ وَانْجَازٍ لِلْأَعَمَالِ اَلْمُتَعَدِدَةِ فِي اَلْوَقْتِ ذَاتِهِ، فالقَوْلُ مَا هُوَ إِلّا مِحْوَرًا مِنْهَا، وَاَلْمُتَكَلِمُ عِنْدَمَا يَتَلَفَظُ بِحَدِيثٍ مُعَيَنٍ، فَهُوَ بالضَرُورَةِ يُخْبِرُ عَنْ شَيءٍ فِعْلي وَوَاقِعِي أَوْ مَا هُوَ إِلَّا عِبَارَةً عَنْ بَوْحٍ لِمَكْبُوتَاتٍ دَاخِلِيَةٍ وَغَيْرِهَا...

فالأَفْعَالُ اَلْكَلَامِيَةُ تَعْمَلُ عَلَى فِكْرَةٌ مَفَادُهَا أَنَّ اَلْعَمَلِيَةَ اَلْتَخَاطُبِيَةُ تَرْتَبِطُ اِرْتِبَاطًا وَثِيقًا بالسِيَاقِ اَلْحَالِي الّذي سِيقَتْ فِي ثَنَايَاهُ، فَمُخْتَلَفُ اَلْأَغْرَاضِ اَلْمُتَنَوِعَةُ لِلْكَلَامِ مِنْ طلبٍ وأَمْرٍ ونَهْيٍ وَمَدْحٍ...إلخ. كُلُّهَا تَرْجَمَاتٌ وَتَعَابِيرَ عَنْ أَشْيَاءٍ تَجْسِيدِيَةٍ لِلْوَاقِعِ اَلْمُعَاشِ.

لهذا يتوقفُ مَدَى نَجَاحِ اَلْعَمَلِيَةِ اَلْتَوَاصُلِيَةِ اَلْتَخَاطُبِيَةِ بَيّنَ اَلْفَاعِلِينَ فِيهَا، مُقْتَرِنًا بِقُدْرَةِ وَقُوَةِ اسْتِيعَابِ اَلْمُخَاطَبِ لِلْمَوَاقِفِ الّتِي اسْتُخْدِمَتْ فِيهَا اَلْتَعَابِيرَ بُغْيَةَ اَلْوُصُولِ إِلَى قَصْدِ مُخَاطِبِيهِ.[1]

لنظرية الأفعال الكلامية أهميّة بالغة في مساعدة المحللين للخطابات اللغوية ومستقبلي الخطاب الوصول إلى المقصود والمعنى المراد حيثُ: "**إِنَّ أَهَمِيَةَ نَظَرِيَةُ اَلْأَفْعَالِ اَلْقَوْلِيَةِ لِمُحَلِلِ اَلْخِطَابِ تَكْمُنُ بالخُصُوصِ فِي كَوْنِهَا تُزَوِدُهُ بِتَفْسِيرِ لِلْكَيْفِيَةِ الّتِي تَجْعَلُ بَعْضَ اَلْأَقْوَالِ مِنَ خِطَابِ اَلْمُحَادَثَةِ غَيَرَ اَلْمُتَرَابِطَةِ فِي اَلْظَاهِرِ عَلَى مُسْتَوَى اَلْأَدَوَاتِ تُشَكِلُ تَسَلْسُلًا مَعْنَوِيًا.[2]**

تَحْظَى أَفْعَالُ الكَلَامِ عَلَى حَسَبِ هَذَا الشَاهِدِ بِأَهَمِيَةٍ بَالِغَةٍ وَهَذَا نتِيجَةَ مُسَاهَمَتِهَا بِدَوِرٍ اِسْتْرَاتِيجِيٍ فَعَّالٍ فِي مُسَاعَدَةِ اَلْمُحَلِلَ اَلْلِسَانِي لِلْخِطَابَاتِ اللُغَوِيَةِ، كَوْنَهَا تُعْطِي لَهُ

[1] ينظر: محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص34.

[2] ج ب براون، ج يول، تحليل الخطاب، تر وتع: محمد لطفي الزليطي. ص278.

تَفْسِيرًا وَتَحْلِيلًا لِلْكَيْفِيَاتِ الّتِي تَجْعَلُ مِنَ اَلْأَقْوَالِ اَلْمُنْجَزَةِ فِي اَلْخِطَابِ الّذِي تَتَنَافَى فِيهِ صِفَةُ اَلْتَرَابُطِ اَلْشَكْلِي اَلْظَاهِرِي، فِي جَعْلِهِ أَكْثَرَ انْسِجَامًا وَتَلَاحُمًا وَتَسَلْسُلٍ مَعْنَوِي.

وقد اقْتَرَحَ جون أوستين(Austin)الّذي يُسَمِيهَا بِمُصْطَلَحِ إِنْجَازِيَة إِنْشَائِيَةَ فِي قَوْلِهِ: " **إِنِي اَقْتَرِحُ أَنْ اُطْلِقَ عَلَيْهَا مُصْطَلَحَ جُمْلَةً اِنْجَازِيَةً أَوْ عِبَارَةً اِنْشَائِيَةً أَوْ اِخْتِصَارٌ لِلْإِنْشَاءِ وَيُسْتَخْدَمُ حَدُّ الإِنْشَاءِ عَلَى وُجُوهٍ مُتَنَوِعَةٍ، وَتَرَاكِيبَ مُتَقَارِبَةٍ كَالْحَالِ فِي حَدِّ اَلْطَلَبِ اَلْأَمْرِي...**"[1]

فَضْلَ أوستين (Austin) عَلَى أَنْ يُسَمِّي اَلْكَلَامَ جُمَلٌ اِنْجَازِيَةٌ أَوْ عِبَارَةٌ اِنْشَائِيَةٌ فَالقَوْلُ هَوَ اِنْجَازٌ بِعَيْنِهِ وَحَتَى عَدَمُ الاِنْجَازِ هُوَ اِنْجَازٌ. فَالمُتَكَلِمُ أَوْ مُسْتَعْمِلُ اَلْكَلَامِ بِمُجَرَدِ اَلْنُطْقِ بِكَلِمَاتٍ أَوِ أَفْعَالٍ مُعَيَنَةٍ يُمْكِنُنَا أَنْ نَقُولَ عَنْهُ أَنَّهُ يُنْجِزُ عَمَلًا مُعَيَنًا.

مِنْ هَذَا اَلْمُنْطَلَقِ يُمْكِنُ القَوْلُ إِنَ الفِعْلَ اَلْكَلَامِي يُشَكِلُ بُؤْرَةَ اَلْتَدَاوُلِيَةَ وَهُوَ آخِرُ مَفَاهِيمِهَا اَلْمُتَعَلِقَةِ بِهَا، لِأَنَّ اَلْأَفْعَالُ اَلْكَلَامِيَةُ تَشْمُلُ جَمِيعَ اَلْمَفَاهِيمِ الّتِي سَبَقَ لِي وَأَنْ أَشَرْتُ إِلَيْهَا وَهِي: مُتَضَمَنَاتِ القول وَاَلْاِسْتِلْزَامُ اَلْحِوَارِي ...إلخ.

وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى نَجِدْ أوستين(Austin) يُعْطِي تَفْرِيقًا وَتَمِييزًا شَامِلًا بَيْنَ مَا هُوَ فِعْلٌ اِنْجَازِيٌ وَغَيْرَ اِنْجَازِي، يَتَمَثَلُ اَلْفَرْقُ فِي أَنَّ اَلْأَوَّلَ(الأَفْعَالُ اَلْاِنْجَازِيَةُ) أَنَّ انْجَازِيَتَهَا تَتَحَقَقُ وَتَتَجَسَدُ فِعْلِيًا عَنْ طَرِيقِ اَلْنُطْقِ بِتِلْكَ اَلْأَقْوَالِ، وَيَتَجَلَّى اَلْفَرْقُ اَلْثَانِي بَيْنَ نَظِيرَةِ اَلْأُولَى (اَلْأَفْعَالِ غَيْرِ اَلْاِنجَازِيَةِ) أَنَّ هُنَاكَ أَفْعَالٌ لَا يُمْكِنُ أَنَّ تَتَحَقَقَ عَلَى أَرْضِ اَلْوَاقِعِ، وَيَعْنِي أَنْ لَا يَكْفِي أَنْ أَقُولَ اَلْقَوْلَ أَوْ اَلْفِعْلَ فَقَطْ، بَلْ لَابُدَ مَنَ اَلْتَطْبِيقِ اَلْفِعْلِي لِهَذَا اَلْقَوْلِ عَنْ طَرِيقِ اَلْمُمَارَسَةِ.[2] فالفعلُ المنجز هو ما يسْتطيع المرءُ تحقيقه في الواقع خلاف نظيره الفعل غير المنجز أي عكس الأوّل لا يمكن تطبيقه.

[1] أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قينيني، دار إفريقيا الشرق، د ط، د ب، 1991م، ص17.

[2] ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص66.

لِهَذَا يُمْكِنُنَا القَوْلُ إنَّ اَلْتَدَاوُلِيَةَ لَا تَقِفُ عِنْدَ اَلْإِسْتِعْمَالَاتِ اَللُّغَوِيَةِ فِي اَلْعَمَلِيَةِ اَلْتَوَاصُلِيَةِ، لِهَذَا نَجِدُ اَلْأَفْعَالُ الكَلَامِيَةُ لَهَا اِرْتِبَاطٌ وَثِيقٌ بالتَدَاوُلِ:" **حَيْثُ يَنْبَثِقُ مِنَ اَلْفِعلِ اَلْكَلَامِي اَلّذِي هُوَ جُزْءٌ مِنَ اَلْكَلَامِ ضِمْنَ اَلْتَعَامُلِ الإِجْتِمَاعِي قُوَتَانِ، قُوَةٌ بَلَاغِيَةٌ وَهِيَ اَلْوَظِيفَةُ اَلْكَامِنَةُ فِي اَلفِعْلِ اَلْكَلَامِي، وَاَلْقُوَةُ اَلْثَانِيَةُ هِيَ اَلْقُوَّةُ اَلْتَأْثِيرِيَةِ خَاصَةً بِآثَارِ اَلْفِعْلِ اَلْكَلَامِي وَنَتَائِجِهِ.**"[1]

فَالفِعْلُ اَلْكَلَامِي يَحْمِلُ قُوَتَيْنِ أَوْ مُهِمَتَيْنِ هَمَا: اَلْأُولَى تُسَمَّى بالقُوَةِ البَلَاغِيَةِ وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ اَلْوَظِيفَةِ اَلْرَئِيسِيَةِ وَاَلْقَاعِدَةِ اَلْمَرْكَزِيَةِ اَلّتِي يَعْمَلُ وَيَقُومُ عَلَيْهَا اَلْفِعْلُ اَلْكَلَامِي، وَأَمَّا اَلْقُوَةُ اَلْثَانِيَةُ تَسَمَّى اَلْقُوَةُ اَلْتَأْثِيرِيَةِ وَهِيَ مُرْتَبِطَةٌ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ عَنِ اَلْآثَارِ اَلْمُتَرَتِبَةِ وَاَلْرُدُودِ اَلْفِعْلِيَةِ سَواءُ كَانَتْ هَذِّهِ اَلْنَتَائِجِ وَاَلْآثَارِ بِقَصْدٍ أَوْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ.

[1] عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2014م، ص103.

2.4.2. تَقْسِيمْ أوستين للأَفْعَالِ اَلْكَلَامِيَةِ.

قَسَّمَ أوستين (Austin) الأَفْعَال اَلْكَلَامِيَةِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ رَئِيسِيَةٍ هِيَ:

1. **فِعْلُ اَلْقَوْلِ (اَلْفِعْلُ اَلْلُغَوِي)** اَلْمَقْصُودُ بِفِعْلِ اَلْقَوْلِ هُوَ أَنْ نَتَلَفَظَ بِكَلِمَاتٍ فِي جُمَلٍ مُفِيدَةٍ وَصَالِحَةٍ مِنَ اَلْنَاحِيَةِ اَلْنَحْوِيَةِ وَسَلِيمَةٍ مِنَ اَلْنَاحِيَةِ اَلْدَلَالِيَةِ، وَكَمَّا يُقَالُ: صَحِيحَةٌ نَحْوِيًا وَصَحِيحَةٌ دَلَالِيًا، فالقَوْلُ هُوَ فِعْلٌ بأُمِ عَيْنِهِ، وهَذَا اَلْأَخِيرُ (فعلُ القَوْلِ) يَحْوِي أَفْعَالٌ لُغَوِيَةٌ وَثَانَوِيَةٌ تَتَفَرَّعُ عَنْهُ، وَتَتَجَلَى كُلُّهَا فِي اَلْمُسْتَوَيَاتِ اَلْلُغَوِيَةِ اَلْمَأْلُوفَةِ لَدَى اَلْدَارِسِينَ وَاَلْبَاحِثِينَ(مستوى الصوتي، م التركيبي، والمستوى الدلالي.)

فالمُسْتَوَى اَلْصَوْتِي يَتَعَلَّقُ بِنُطْقِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ اَلْأَصْوَاتِ لِلُغَةٍ مَا، أَمَّا بِخُصُوصِ المُسْتَوَى اَلْتَرْكِيبِي مَضْمُونُهُ هُو تَأْلِيفُ وَنَظْمُ اَلْمُفْرَدَاتِ وِفْقًا لِلْقَوَاعِدِ وَاَلْضَوَابِطِ الّتِي تَحْكُمُهُا(اللغةُ).

وَأَخِيرًا اَلْفِعْلُ اَلْدَلَالِي _عَلَى حَسَبِ تَسْمِيَةِ أوستين(Austin) لِهَذِهِ اَلْمُسْتَوَيَاتِ_ فَهُوَ صُلْبُ اَلْمُسْتَوَيَاتِ، لِأَنَّهَا تَخْتَصُ بِتَوْظِيفِ تِلْكَ اَلْأَفْعَالِ فِي سِيَاقَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، حَسْبَ مَعَانٍ وَدَلَالَاتٍ مُحَدَدَةٍ، وَوِفْقًا لِمُتَطَلَبَاتِ اَلْحَدِيثِ.[1]

أَمّا اَلْقِسْمُ اَلْثَانِي مِنْ تَقْسِيمَاتِ أوستين(Austin) فهُوَ:

2. الفعل المتضمن في القول:" **هُوَ اَلْفِعْلُ اَلْإِنْجَازِي اَلْحَقِيقِي، إِذْ أَنَّهُ عَمَلٌ يُنْجَزُ بِقَوْلٍ مَا، وَهَذَا اَلْصِنْفُ مِنَ اَلْأَفْعَالِ اَلْكَلَامِيَةِ هُوَ اَلْمَقْصُودُ مِنَ اَلْنَظَرِيَةِ بِرُمَتِهَا.**"[2] يُمْكِنُ اَلْقَولُ عَلَى ضَوْءِ هَذَا اَلْمَفْهُومِ لِلْفِعلِ اَلْمُتَضَمِنِ فِي اَلْقَوْلِ: أَنَّ هَذَا اَلْفِعْلِ هُوَ تَجْسِيدٌ لِأَقْوَالٍ فِي اَلْوَاقِعِ أَيّ: هُوَ الإِنْجَازُ اَلْحَقِيقِي وَاَلْفِعْلِّي، إِذْ يَخُصُ اَلْأَعْمَالَ اَلْمُنْجَزَةِ بالأَقْوَالِ،

[1] ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص41.

[2] المرجع نفسه، ص41.

وَكَيْفِيَةِ اِنْجَازِ أَفْعَالًا مَلْمِوسَةً بِأَقْوَالٍ تَلَفُظِّيَةٍ، وَهَذَّا اَلْفَرْعُ مِنَ اَلْفِعِلِ اَلْكَلَامِي هُوَ اَلْنَظَرِيَةُ اَلّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا. فَهِيَ تُعَدُّ بِمَثَابَةِ اَلْرَكِيزَةِ اَلْأَسَاسِيَةِ.

فَالفِعْلُ اَلْمُتَضَمِنُ فِي اَلْأَقْوَالِ حَظِيَ بِعِنَايَةٍ فَائِقَةٍ لَدَى اَلْفَلَاسِفَةِ اَلْتَدَاوُلِيينَ، وَخَصصُوا لَهَا مِسَاحَةً شَاسِعَةً فِي دِرَاسَتِهِمْ، لِهَذَا نَجِدُهُمْ تَفَرَّدُوا بِتَقْسِيمِهِ إِلَى جُمْلَة مِنَ اَلْأَصْنَافِ– هَذَّا مَا سَنَعْرِفُهُ لَاحِقًا–عَلَى غِرَارِ اَلْصِنْفِ اَلْأَوَّلِ (فعل القَوْلِ) وَاَلْثَالِثُ (الفعل الناتِجُ عن القَوْلِ)

3. فِعْلُ تَأْثِيرِي

أَوْ كَمَّا سَمَّاهُ أوستين(Austin)اَلْفِعْلُ اَلْنَاتِجُ عْنِ اَلْقَوْلِ: يتكون لدينا فِعْلُ نَاتِجٌ عَنْ اَلْقَوْلِ أَوْ فِعِلٌ تَأْثِيرِي في حالة اسْتِطاعة وتمَكُّنِ اَلْمُخَاطِبُ احْدَاثِ تغييرًا وتَأْثِيرًا قَوِيًا وَفَعَّالًا فِي اَلْمُتَلَقِي لِخِطَابِهِ اَلِمُنْجَزِ، مِثْلَ رَدَّةِ اَلْفِعْلِ باخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا وَأَغْرَاضِهَا مِنَ فَرَحٍ، حَزْنٍ، بُكَاءٍ وَضَحِكْ...إلخ

وَمِنَ اَلْخَاصِيَةِ اَلّتِي يَتِسِمُ بِهَا هَذَا اَلْصِنْفَ كَوْنَ كُلَّ فِعْلٍ مِنْ هَذِهِ اَلْأَفْعَالِ يَتَوَفَرُ عَلَى قُوَةٌ اِنْجَازِيَةٌ، كَما يُمْكِنُنِي اَلْقَوْلُ: إِنَّ اَلْفِعْلَ اَلْنَاتِجُ عَنْ اَلْقَوْلِ هُوَ لَا يَخْرُجُ عَنْ نِطَلَقِ اَلْفِعْلَيْنِ اَلْسَابْقَيْنِ أَيْ: يَنْتُجُ عَنْهُمَا.

فِعْلُ اَلْقَوْلِ+ اَلْفِعْلُ اَلْمُتَضَمِنُ فِي اَلْقَوْلِ= فِعْلٌ نَاتِجٌ عَنِ اَلْقَوْلِ.[1]

كَمَا سَبَقِ لِي وَأَنْ ذَكَرْتُ أَنَّ اَلْفِعْلَ اَلْإِنْجَازِي (اَلْإِنْشَائِي) لَدَيْهِ تَقْسِيمَاتٌ أُخْرَى وِفْقًا لِلْقُوَةِ اَلْإِنْجَازِيَةِ وَجَعَلَهَا أوستين(Austin)عَلَى خَمْسَةِ أَجْزَاءٍ هِيَ:

[1] ينظر: محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص97.

1. صِنْفُ الأَحْكَامِ وَاَلْقَرَارَاتِ.

"وَهُوَ يَخْتَصُ بِكَوْنِهِ نَاتِجًا عَنِ اِصْدَارِ حُكمٍ أَوْ قَرَارٍ مُعَيَنٍ، وَجَعَلَهَا أوستين فِي ثَلَاثَةِ أَعْمِدَةٍ نَذْكُرُ مِنْهَا: يُعَيِنُ، يُرَقِي، قَرَّرَ، أَثْبَتَ، يُقِيمُ، ...إِلخ."[1]

ويَعِنِي أَنَّ جُلَّ اَلْأَفْعَالِ اَلِتِي تَنْخَرِطُ فِي هَذَا اَلصِنْف نَاتِجَةٌ عَنْ اِطْلَاقِ حُكْمٍ مُعَيَنٍ.

2. صِنْفُ اَلْمُمَارَسَاتِ: يُقْصَدُ بِهَا اَلْأَفْعَالُ اَلْمُمَارَسَةِ وَاَلْقَوَانِينِ مِثْلَ: عَيَّنَ، فَصَلَ، فَرَضَ، قَضَى اِخْتَارَ، مَنَحَ، رَشَّحَ، ابْطَلَ، أَعْطَى...إلخ.

3. صِنْفُ اَلْوَعْدِيَاتِ (التعهدِ): مَضْمُونهَا اعْطَاءُ اَلْوُعودِ وَاَلْتَعَهُدَاتِ بِأُمُورٍ مُعَيَنَةٍ، وَفِي هَذَا اَلْصِنْفِ مِنَ اَلْأَفْعَالِ يَلْتَزِمُ اَلْمَرْءُ أَنْ يَقُومَ بِالأَدَاءِ وَاَلْتَنْفِيذِ اَلْفِعْلِي لِلْقَوْلِ أَيْ: مُصَاحِبٌ بِإِلْزَامِيَةِ اَلْتَطْبِيقِ وَاَلْتَنْفِيذِ.

وَيَنْدَرِجُ فِي هَذَا اَلْصِنْفِ اَلْثَالِثُ لِلْأَفِعَالِ الإِنْجَازِيَةِ حَسْبَ تَصْنِيفَاتِ أوستين (Austin): وَعَدَ، تَعَهَدَ، اِلتَزَمَ، تَرَاضَى، تَعَاقَدَ، رَاهَنَ، اَقْسَمَ...إلخ.[2]

4. صنف أَفْعَالِ اَلْسُلُوكِيَةِ: وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ أَفْعَالٍ تُوحِي عَنْ دَلَالَةِ رُدُودِ اَلْأَفْعَالِ وَهَذِهِ اَلرُدُودِ تَكُونُ مُرْتَبِطَةً بالمُسْتَقْبِلِينَ لِلْخِطَابَاتِ اَلْلُغَوِيَةِ وَتَحْلِيلِهَا، مِنْ قِبَلِ سُلُوكِهِمْ اَلْمُنْفَعِلِ ازَاءَ اَلْمُتَكَلِمِ، عِلَاوَةٌ عَلَى هَذَا يَجِبُ اَلْتَرْكِيزَ فِي هَذَا اَلْصِنْفَ مِنَ اَلْأَفْعَالِ عَلَى سَيْرُورَةِ نَجَاحِ أَوْ فَشَلِ اَلْخِطَابِ أَثْنَاءَ مُمَارَسَتْهِمْ لِتِلْكَ اَلْسُلُوكِيَاتِ مِنْ بَيْنِهَا: الشكرُ وَاَلْتَحِيَةِ والاعْتِذَارِ والترحيب...إلخ.[3]

فكل صنفٍ من هذه الأصناف الّتي تم ذكرها تضم أنواع من أفعال معينة.

---

[1] أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة تر: عبد القادر قينيني، ص174.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص178، ص180.

[3] ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص70.

5. صنف الايضاح:

يستخدم هذا النوع من الأفعال في توضيح وتفسير وجهات النظر مع الإشارة إلى الأدلة والبراهين الحجاجية، حتى ندعم ونوضح هذه الآراء والتصرفات.[1]

زِيادةً على ما تمّ عرضه وتفْصيلهُ من جُهُودِ وَأَعْمَالِ اَلْفَيْلَسُوفِ الْشَهِيرِ أوستين(Austin)مِنْ اضَافَاتٍ وَاِسْهَامَاتٍ لَا تُعَدُّ، أَحْدَثَتْ تَحَوُّلًا جِذْرِيًا مَسَّ جَمِيعَ نَوَاحِي اَلْدَرْسَ اَللِسَانِي اَلْحَدِيثِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسْعِفْهُ اَلْحَظِ فِي تَحْقِيقِ اَلْمُرَادِ الّذِي كَانَ يَصْبُو إِلَيْهِ مِنْ وَضعِ وَتَأْسِيسِ نَظَرِيَةً شَامِلَةً لِلْأَفْعَالِ اَلْكَلَامِيَةِ الّتِي تُعَدُّ آخِرَ اَلْمَفَاهِيمِ، لِهَذَا حاوَلَ تِلْمِيذَهُ جان سيرل(J.Searle)تَدَارُكَ اَلْمَزَالِقِ وَالهَفَوَاتِ الّتِي شَكَلَتْ حَاجِزًا أَمَامَ أُسْتَاذِهِ أوستين(Austin)وَحَاوَلَ اعَادَةِ تَقْسِيمِ الأَفْعَالِ اَلْكَلَامِيَةِ جُمْلَةً وَتَفْصِلَا.[2]

3.4.2: تقسيم جان سيرل (J.Searle) للأفعال الكلامية.

يُعَدُّ جان سيرل(J.Searle) منْ أَوَائِلِ اَلْفَلَاسِفَةِ اَللِسَانِيينَ الأَمْرِيكِيينَ الّذِينَ أَخَذُّوا عَلَى عَاتِقِهِمْ اعَادَةِ تَنَاوُلِ وَاعَادَةِ هَيْكَلَةِ المَنْهَجِيَةُ المَبْنِيَةُ عَلَيْهَا اَلْأَفْعَالُ الكَلَامِيَةِ لِزَعِيمِهَا أوستين(Austin)

حَيْثُ قَدَّم لِأُسْتَاذِهِ مَجْموعَةٌ مِنَ الانْتِقَادَاتِ وَالنَقَائِصِ، بالرُغْمِ مِنَ الاِشَارَاتِ الّتِي ذَكَرَهَا أوستين (Austin)فَتِلْمِيذُهُ سيرل(J.Searle) لَمْ يَنْطَلِقْ مِنَ العَدَمِ، إِنَّمَا أَعْمَالُهُ مَاهِيَ إِلَّا مُحَاوَلَةَ تَشْكِيلَةٍ جَدِيدَةٍ وَتَطْوِيرًا وَتَحْسِينِ المَبَادِئِ اللُّغَوِيَةِ فِي المَجَالِ التَدَاوُلي الّتِي قَدَّمَهَا لَنَا اَلْفَيْلَسُوفِ اللِسَانِي أوستين(Austin)

[1] ينظر المرجع السابق، ص70.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص70.

. شروط صياغة سيرل للملائمة.

جَعَلَهَا سيرل(J.Searle) فِي أَرْبَعَةِ شُرُوطٍ أَسَاسِيَةٍ تَتَجَلَّى فِيمَا يَلِي:

1. شَرْطُ المُحتَوَى القَضَوِي: **يُفْهَمُ مِنَ اَلْمُحتَوَى القَضَوِي هُوَ اَلْمَعْنَى الحَرْفِي وَالمُبَاشِرِ الّذِي يُقْتَضَى مِنَ الحَدِيثِ وَالعِبَارَاتِ اللُغَوِيَةِ، فَالكَلَامُ لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَعْنَى وَدَلَالَةً تَتَأَسَسُ عَلَى خَلْفِيَاتٍ الكَلَامِ، وَاَلْخَبَرِ الّذي يَنْطَوِي عَلَيْهْ، أَمَّا الشَرْطُ الثَانِي هُوَ الشَرْطُ التَمْهِيدِي وَصُلْبُ مَوْضُوعِهِ أَوْجُلِّ اخْتِصَاصِهِ مُقْتَرِنٌ بِمَدَى اسْتِيعَابِ المُتَلَقِي وَأَدَائِهِ الصَوَابِ وَالصَحِيحِ لِلْفِعْلِ لَحْظَةَ صُدُورِهِ، مِثْلَ: عَدَمِ الامْتِثَالِ لِلإِنْجَازِ هُوَ انْجَازٌ بِحَدّ ذَاتِهِ. وَفِيمَا يَخُصُ اَلْشَرْطَ الثَالِثُ الّذِي صَاغَهُ سيرل(J.Searle) يُطْلِقُ عَلَيْهِ مُصْطَلَحَ شَرْطُ الاخْلَاصِ: أَيُّ النِيَةُ الخَالِصَةُ فِي أَدَاءِ الأَعْمَالِ وَانْجَازِهَا، فَلَا يَتَبَنَى اَلْمُنْجِزُ مَالَا يَسْتَطِيعُ فِعْلَهُ. وهَذِهِ الشُرُوطِ الثَلَاثَةِ يُكَمِلُهَا شَرْطٌ رَابِعٌ يَصِفُهُ سيرل (J.Searle) بِتَسْمِيَةِ اَلْشَرْطَ اَلْأَسَاسِي. وَمَعْنَاهُ أَنَّ المُتَكَلِمَ يَحْمِلُ عَلَى عَاتِقِهِ مُهِمَةً أَوْ عَمَلَ التَأْثِيرِ مِنْ أَجْلِ انْجَازِ الفِعْلِ.**[1] فكلّ هذه الشروط الأربعة تتداخل وتخدم بعضها البعض حتى تتحقق في الواقع اليومي للأفعال وإمكانية تطبيقها.

فَأَشَارَ سيرل(J.Searle) فِي أَعْمَالِهِ إِلَى ضَرُورَةِ التَمْيِيزِ وَاعْطَاءِ الفُرُوقِ الدَقِيقَةِ بَيَّنَ الفِعْلِ المُنْجَزِ مُبَاشَرَةً الّذِي يَتَمَاشَى مَعَ المُطَابَقَةِ بَيْنَ المَعْنَى، وَاَلْمُرْتَبِطِ بالقَوْلِ وَاَلْمَعْنَى الغَرَضِي، وَاَلفِعْلْ اَلْمُبَاشِرِ الّذِي يَتَنَافَى وَيَعْكِسُ وَلَوْ مَبْدَئِيًا مَقَاصِدَ المُتَكَلِمِ فِي الأَفْعَالِ (هَذَا مَا يُحيلُنَا إِلَى المَعَانِي الضِمْنِيَةِ) وَلَا يَخْفَى عَلَيْنَا أَنَّ هَذَا المُتَلَقِي يَكُونُ يَمْتَلِكُ القُدْرَةَ الكَافِيَةُ لِفَهْمِ وَاسْتِيعَابِ هَذِهِ المَعَانِي غيْرُ المُبَاشِرَةِ (المُبْهَمَةِ) بالِاحْتِكَامِ إِلَى أَضْرُبِ السِيَاقِ.[2] فسورل دعا إلى التمييز بين الفعل المباشر وغير المباشر أي الضمنيات.

[1] ينظر: نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، دار عالم الحديث، ط1، العبدلي، الأردن، 2009م، ص188.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 188.

4.4.2: تقسيمات سيرل للأفعال الكلامية.

لَمْ يَخْرُجْ سيرل(J.Searle) فِي تَصْنِيفِهِ لِلْأَفْعَالِ الكَلَامِيَةِ عَنْ أُسْتَاذِهِ أوستين(Austin)وَجَعَلَهَا فِي خَمْسَةِ أَصْنَافٍ وَهِيَ:

1. الإِخْبَارِيَاتِ: وَتَتَمَثَّلُ فِي كَوْنِهَا تَحْمِلُ غَرَضًا انْجَازِي يَتَجَلَّى فِي نَقْلِ المُتَكَلِمِ وَاقِعَةٍ أَوْ حَادِثَةً مُعَيَّنَةً بِشَكْلٍ تَدَرُّجِي فِي تَعْبِيرِ وَنَقْلِهِ لِهَذِهِ الوَاقِعَةِ، وَمُعْظَمُ هَذِهِ الأَفْعَالِ الّتِي تَدْخُلُ فِي هَذَا الصِنْفِ تَتَسِّمُ بِخَاصِيَةِ احْتِمَالِهَا اَلْصِدْقَ أَوْ اَلْكَذِبِ.

2. التَوْجِيهِيَاتِ: اَلْمَقْصُودُ بِهَا هُوَ: أَنَّ اَلْمُخَاطِبِ يُوَجِهُهُ(المُخَاطَبْ) إِلَى الْتِزَامِ بِفِعْلِ أَشْيَاءٍ مُعَيَّنَةٍ مِنْ خِلَالِ أَقْوَالِهِ اَلْمُتَمَثِلَةِ فِي اَلْأَلْفَاظِ وَالعِبَارَاتِ، أَيْ امْتِثَالُ المُتَلَقِي لِمَّا يَقُولُهُ المُتَكَلِمِ، وَيَدْخُلُ فِيهَا الاسْتِعْطَافِ والتَشْجِيعِ، والأَمرِ، وَالرَجَاءِ ... عَلَى سَبِيلِ التَمْثِيلِ: احرِصْ عَلَى تِلَاوَةِ القُرْآنِ.[1]

3. الالتِزَامِيَاتِ:' وَهُوَ أَنْ يَلْتَزِمَ بِفِعْلِ شَيْءٍ مُعَيَنٍ"[2]

وَهَذَا هُوَ الإِنْجَازُ بِعَيْنِهِ حَيْثُ المُتَلَقِي يَسْتَجِيبُ لِكَلَامِ اَلْمُتَكَلِمِ وَيُطَبِقُهُ عَلَى أَرْضِ الوَاقِعِ أَيْ الأَفْعَالُ المَلْمُوسَةِ، بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ مُخْلِصًا فِي أَدَائِهِ.

4. التعبيريات: " وَغَرَضُهَا الانْجَازِي هُوَ التَعْبِيرُ عَنْ اَلْمَوْقْفِ الْنَفْسِي تَعْبِيرًا يَتَوَافَرُ فِيهِ شَرْطُ الإِخْلَاصِ"[3] يَضُمُ هَذَا الصِنْفُ مِنَ اَلْأَفْعَالِ، وَهَذِهِ الأَفْعَالِ هِيَ الّتِي يَسْتَطِيعُ بِهَا المَرْءُ تَرْجَمَةِ مَكْبُوتَاتِهِ وَاَلْتَعْبِيرِ عَنْهَا، مِنْ الأَحَاسِيسِ بِتَنَوُعَاتِهَا مَعَ ضَرُورَةِ تَوَفُرِ النِيَةِ اَلْخَالِصَةِ فِي هَذِهِ التَعَابِيرِ.

---

[1] ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص78.

[2] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص199.

[3] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص79.

5. الاعلانيات: مَوْضُوعُهَا هُوَ مَدَى مُطَابَقَةِ المُحْتَوَى القَضَوي وَالمَعَانِي الّتِي تَحْمِلُهَا مَعَ مُطَابَقَةٍ مُمَاثِلَةٍ لِلْوَاقِعِ الخَارِجِي، وَالشَيْءُ اللَافِتُ لِلِانْتِبَاهِ فِي هَذَا الصِنفِ أَنَّهُ لَا يَحْوِي شَرْطَ الِاخْلَاصِ، بَلْ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهْ بالمَرَّةِ.

وَخَاصِيَتُهَا التَفْضِيلِيَةِ عَنْ سَائِرِ الأَصْنَافِ الأَرْبَعَةْ سَالِفَةِ الذِّكْرِ كَوْنَهُ يُحْدِثُ تَعْبِيرًا فِي الوَضِعِ القَائِمِ، مَعَ اقْتْضَائِهِ للأَعْرَافِ غَيْرِ اللُغَوِيَةِ.[1]

فسورل لم يخرج في تقسيمه للأفعال الكلامية عن نطاق تقسيمات أسْتاذه أوستين فجعلها خمسة أقسام رئيسية وكلّ قسم تدخل تحته مجموعة من الأفعال.

[1] ينظر: المرجع السابق، ص80.

الفصل الثاني

مقتضيات التضمينات

ومجال

تطبيقها في الخطاب

القرآني.

توطئة:

منّذُ أنّ أنْزَلَ المولى تبارك وتعالى القرآن الكريمِ على النبي محمد صلّى الله عليه وسلم، توالَتْ الدِرَاسَات تباعا، الّتي صَبّتْ اهتمامها وجُهُودَها على النصّ القرآني محاولين الكشْفَ عن سِمَاتِهِ الاعْجَازِيَةِ وخصائصه البلاغيةِ، خصوصًا أنه جاء بلسانٍ عربي مبين وللبشَرِيَةِ جمعاء.

فكل واحد بحث في جانب معيّن بغية فهم واستيعاب ما يحويه كلام الله في محكمِ التَنزِيلِ العظيمِ، فهنا أحاول في الجزء الثاني أنّ اسْتَخْرِجَ ملامِحَ وآليَاتِ التحليل التداولي للخطابِ وتَجَلِيَاتِها في الآيَاتِ القُرْآنِيَةِ من معان ضِمْنِيةٍ غير مباشرةٍ من أوامر ونواه واسْتِلْزام حواري وأفْعال كلام...إلخ.

الفصل الثاني: مقتضيات التضمينات ومجال تطبيقها في الخطاب القرآني.

المبحث الأوّل: مجال تطبيق الضمنياتِ في الآيي القرْآني.

1.1: الضمنياتِ.

1. قال الله تعالى "وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾{البقرة35.}

"تستمر هذه الآياتُ في بَيَانِ أنْواعِ التَكْريمِ الإلهي للإنْسَانِ، وهذا التكِريم هنّا هو المقامُ في الجنّةِ في بدْءِ الخَلِيقَةِ ولكن اقتَضَتْ الحِكْمَةُ الإلهية أنّ تكون في الأرْضِ وقد سِيقَتْ هذه القِصَةُ إينَاسًا للنبي محمد صلّى الله عليه وسلم عما يُلَاقي من الانكارِ، لِيَعْلَمَ أنّ المَعْصِيَةَ من شَأْنِ البشَرِ".[1]

تعْطِي لنا الآيَةُ بَيَانًا وتَوْضِيحًا للمَكَارِمِ الّتي أنْعَمَ الله تعلى بها على عبَادِهِ حَالُها كحالِ الآياتِ الّتي تلتْ "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم " وهذه النعمة هي الجنة على الأرضِ، ولَعلّ الدَافِعَ والمقَامِ الّذي نزَلَتْ فيه الآيَةُ الّتي تسْرُدُ وتَرْوِي لنا قصة من قصصِ الأنْبِيَاءِ عليهم السلامِ أبو البَشَرِيّةِ جمْعَاءِ آدم عليه السلام، والغايةُ المُثْلَى للقصصِ القُرْآنِي هو أخْذُ العبْرَةِ وحتى يَطْمَئِنّ وَيَرْتاح فُؤَادُ النبي محمد عليه الصلاة والسلام كي لا يَحْزَنَ على

[1] وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، ط10، دمشق، سوريا، 2009م، ج1، ص148.

القوْمِ الّذين تخَلْوا عن اتباعِ هداه فالإنسانُ مجبول على ارتكابِ الخطايا والمعَاصِي مع نكرانِ المعروفِ.

في الآية أمرٌ "اسكنْ" **مستعْمَلٌ في الامتنانِ بالتمكين والتَخْوِيلِ وليس أمرًا بأنْ يَسْعَى بِنَفْسِهِ لِسُكنَى الجَنَّةِ إذ لا قدرةَ له على ذلك السعيِ فلا يُكَلِّفُ به، ولا تَقْرَبَا هذه الشَجَرَةِ، يَعْني به ولا تأْكُلَا من الشجرَةِ لأنَّ قُرْبَنَها هو لقَصْدِ الأكْلِ منها فالنَهْيِ عن القُرْبَانِ أَبْلَغُ من النهيِ عنِ الأكْلِ لأنّ القُرْبَ من الشَيْءِ يُنْشيءُ دَاعِيَة وميلا إليهِ.**[1]

نلحظ أنّ هذه الآيَةَ معطوفة ومكلمة للآيَاتِ السَابِقَةِ لها" وقلنا للملائكة اسجدوا لآدم" ففي الآيَةِ "اسكن انت وزَوْجُكَ الجنّةَ" معناه أنّ الله تعالى يُكَلِّفُ نبيهُ آدم عليه السلام بأمرِ الإسْكَانِ في الجنّةِ وهذا فعل اسْتُخْدمَ للدلَالَةِ على الامتِنَانِ والشكرِ والثناءِ على الحالِ الّتِي يَعِيشُها هو وزوْجُهُ من الأنْعُمِ كَرّمَهُمَا بها، فهذا هو المعنى الظَاهري بيّدَ أنّ فعل الأمرِ (اسكنْ) ليسَ أنّ يسْعَى النبي عليه السلام بْحَدّ ذاتِهِ لِيَتَخِذَ سكنا من الجنّةِ، فهو لا يَمِلِكُ القُدرةَ الكافيةَ على انجازِ وَتَطْبِيقِ هذا الفِعْلِ، فالله عزّ وجلّ نهَاهُمَا عن القُرْبَانِ من الشجَرَةِ لغَايَةِ النهيِ عن الأكْلِ على ماتحتَوِيهِ من ثِمارِ وفواكهِ وغيرها.

فهنّا اسْتُخْدِمَ النهي عن القُرْبِ بَدَلَ من كلِمَةِ الأكْلِ للمُبَالَغَةِ في التحذِيرِ والنهْيِ من الأكْلِ حتى لا يكونا من العاصينَ والمخالفين لأَوَامِرِ الله تعالى، وحتى لا يظلما أنْفُسِهِما

يَتَجَلّى في الآيَةِ السالفةِ الذكْرِ من سورة البقرةِ النازلةِ في آدم وحواء في الجنّةِ ومَوْقِفِ الشَيْطَانِ منهما، فيها معنى ومَقْصُد لا يَظْهَرْ على سَطْحِ الملْفوظِ ومعناهُ أنّ الآيَةَ فيها

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار التونسية، دط، تونس، 1884م، ج1، ص428، ص432.

معنيينِ اثْنَيْنِ أحدُهُمَا حرفِي واضِحٌ والثانِي ضِمْنِي غير حرفي فالقَصْدُ الأوّلِ هو أنّ الله عزّ وجلّ أمرَ أبو البَشَرِيَةَ بالسَعْيِ والمسَاهَمَةِ في ادْخَالِ نفْسِهِ بنفسِهِ الجَنَّةَ في حين أنّ المعنى هو الامتنانُ والثَناء. كما يَتَناولُ الظاهر النهي والحثِ عن عدم القُرْبِ من الشَجَرَةِ المعيّنَةِ.

2. قال المولى في محكم التنزيل:"**وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴿100﴾ **{النساء:100.}**

تَرْصُدُ الآيَةَ هِجْرَةَ المُسْتَضعَفِينَ في البِلَادِ بمُخْتَلَفِ أنْوَاعِ الهِجْرَاتِ سواء خَوْفًا من الكُفْرِ، أو خَوْفًا على الأعْرَاضِ والأرْزَاقِ...إلخ، فالهِجْرَةُ لابّدَ أنّ تكون بِنِيَةِ الهجرَةِ إلى الله عزّ وجلّ لِسَبَبِ اعْلَاءِ كَلِمتِهِ ونَشْرِ دِينِهِ في بِقَاعِ الأرْضِ حيْثُ" **نوّهَ بشَأْنِ الهجرَةِ بأنّ جعلَ ثَوَابَهَا حَاصِلٌ بِمُجَرَّدِ الخَرُوجِ من بلادِ الكَفْرِ، ولو لم يَبْلُغْ إلى البلد المهاجر إليهِ، ومعنى المهاجرة إلى الله المُهَاجَرَةُ إلى المَوْضِعِ الّذي يَرْضَاه."**[1]

إنّ الله تعالى يَعِدُ عبَادِهِ الّذين يَعْقِدُونَ العزْمَ على الهِجْرَة في سبيلِهِ تاركينَ وراءهمْ أهلِيهِم وذَوِيهمْ وأرْزَاقِهمْ بِجَنّاتٍ وثَوابِ عظيمٍ، حتى وإنّ لم يُحَالِفْهُ الحظ (المهاجر) في الوُصُولِ إلى السبيلِ الّذي كان يصْبُوا إلى تَحْقِيقِهِ ورَسْمِ معالِمه فالله جلّ جَلالَهُ يَعْرِفُ كيف يَمُنُّ وَيَثْنِي على عباده المخلِصينَ المُقيمِينَ للوَاجِبِ الّذي كُلّفُوا به، إذا ادْرَكَتهُمْ ووافتْهُمْ المَنِيَّةُ قبل تدارُكِ وتحقِيقِ مُبْتَغَاهِ.

[1] المرجع السابق، ج5، ص180.

نَسْتَخْلِصُ من الآيَةِ أنّ معناها الظاهرُ يَتَجَسَدُ في الهجْرَةِ إلى الله وهذا معنى مباشر موجود بِطَرِيقَةٍ سَطْحِيَةٍ للمَلْفُوظِ، في حين أنّهُ لُوحِظَ معْنَى غير مبَاشِرٍ تُوَضّحُهُ خَاصِيّةُ السِيَاقِ الّذي ورَدَتْ فيه الآيةُ وهو وَجُوبِ الامْتِثَالِ لأوَامِرِ الله تبارك وتعالى مع ضَرُورَةِ التَنْفِيذِ يَكْمُنُ في الهِجرَةُ من بلادِ الكُفْرِ إلى بلادٍ أخْرى.

إذنْ المعنى الضِمْنِي لهاته الآيةُ هو عبارَةٌ عن الهجْرَةُ إلى الموضِعِ والمكانِ الّذي يَرْضاه الله ومن أجْلِ الدِينِ الحَنيفِ ونشْرِهِ في مُخْتَلَفِ الفَيَافِي.

3. قال جلّ في علاه: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ {الكوثر: 03.}

نزلَتْ سورة الكوثر وهذه الآيَةُ بالتحْديدِ بعد قولِ ووصْفِ العاصي بن وائل للنبي صلّى الله عليه وسلم

بأنّه الأبتر: "**ومعنى الأبتر في الآيةِ هو الّذي لا خيْرَ فيه وهو رَدّ لقولِ العاصي أو غيرهِ في حقِ النبي عليه السلام فبهذا المعنى اسْتَقَامَ وصف العاصي أو غيرهِ بالأبتر دون المعنى الّذي عنَاهُ هو حيْثُ لَمَزَّ النبي عليه السلام بأنّه أبتر أيْ لا عَقِبَ لَه**".[1]

كان العاصي بن وائل كلّما سَمِعَ عن النبي عليه السلام كلامًا أو لمحهُ يَنْعَتُهُ بِصفَة

الأبْتَرِ وَيَدْعُوهُمْ (الناس) للتخلي والبعْدِ عنه (الرسول عليه الصلاة والسلام) فهو كان يَسُبُ وَيَشْتِمُ النبي بهاته العبارةِ، والمُبْتَغَى من هذه الصفَةِ هو أنّه شَخْصٌ لا خَيْرَ فيهِ ولا عَقِبَ لَهُ، لهذا نزلتْ هذه السورةُ وخُصُوصًا الآيَةُ الثالِثَةُ حيث اسْتَخْدَمَ الله عزّ وجلّ كلمة

[1] المرجع السابق، ج30، ص576.

الأبْتَرْ للدلالةِ على معنى مُخَالِفٌ للدلالَةِ الأولى الّتِي كان يَسْتَخْدِمها العاصي على الرسول عليه السلام.

يظهرُ من الآيَةِ كلمةِ الأبْتَرْ أنّه كلام ووصْفٌ مُوَجهٌ للنبي عليه الصلاة والسلام هذه الدلاة الّتي تُفْهَمُ وتُقْرَئَ بشَكْلٍ سَطحِي، إلّا أنّهُ في هذه الآية معنى ودلالاتٍ غيرُ مُبَاشِرَةٍ تتضَمَنُ المعنى الأوّل بِحَسَبِ السياقِ وهو أنّ كلمة الأبْتَرْ جاءت لتدّلَ على نفي وصْفِ واتِصَافِ النبي المختار أنّ يَكون حَامِلًا لهذه الخِصَالِ.

فالسياق الّذي جاءتْ فيه(الأبتر) مَغَايِرٌ وبَعِيد كلّ البُعْدِ عن هذا المعْنى، حَيْثُ دلَّ الضَمِيرُ شَانِئُكَ (الكاف) هو المَنسِي في الدُنْيَا والآخِرَة، فالكلامُ وَرَدَ على صِيغَةِ القَصْرِ لِلْدَلالةِ والرَدِّ على كلامٍ صَادِرٍ وَمُعَيِنٍ.

3. قال عزّ وجلّ: **وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ۝٢ {النساء: 02.}**

إنّ موضوع الآيةِ يَدُور حولَ ايتاءِ أمْوَالِ اليَتَامى والحِفَاظِ علَيْها وَتَحرِيمِ تَبْذِيرِهَا

من قِبَلِ القَائِمِينَ على رعَايَةِ الصِغَارِ حَيَثُ" **يَأْمُرُ الله تعالى بِدَفْعِ أمْوَالِ اليَتَامَى إليهم إذا بَلَغُوا الحِلْمَ كَامِلَةً مُوَفَرَةً، وَيَنْهَى عن أكْلِها وضَمِّها إلى أموالِهِمِ**".[1]

اشْتَمَلَتْ الآيةِ على ضَرُورَةِ الحرْصِ وصَوْنِ أموالِ اليَتامى حتى يَبْلُغوا سنّ الرُشْدِ

[1] وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج4، ص561.

مع الدعوة إلى الاتفاق عليهم والاِهْتِمَامِ بِهِمِ، حيْثُ هنّا اشَارَةُ واضِحَةٍ إلى اجْتِنَابِ أكْلِهَا حتى ضَمِّهَا والتَصَرُّفِ فيها بِأَشْيَاءٍ لا تعُودُ بالنفْعِ على اليَتِيمِ، فهي تُعَدُّ في منْزِلَةِ التَحْرِيمِ أيْ حُكْمُها الشَرعِي هو التحرِيمِ وانزالها منزلة غير المباح (أي أكل وضم أموال اليتيم إلى مُكَلِفِيهِ) ولا يجْعَلُونَها مضمُومَةً إليها ومن فَعلَ ذلك يلقى إثْمًا كبيرا وذَنْبًا عظيمًا.

"وظاهر الآية الأمرُ بِدَفْعِ المالِ لليَتِيمِ، ولا يَجُوزُ في حُكْمِ الشَرعِ أن يُدْفَعَ المال له مادام مطلقا عليه اسم اليتيم، وهو حينئذٍ غير صالح للتصَرّفُ في مالهِ".[1]

في الشرْعِ الإسْلَامِي لا يَجُوز إعطاء الصِغَارِ أموالًا وأرْزَاقًا لأنّهم لم يَفْهموا ولم يتفَقّهوا بعد في أمور الحياةِ ولا يَعْرِفُونَ كَيْفيةِ التَصَرّفِ فيها (الأموال)، لهذا أعطى الله عزّ وجل حُكْمًا بعدم جَوازِ اعْطَاءِ ومنحِ الصغارِ أرْزَاقَهم حتى يَشْتَدَ أزْرَهُم وَيَنْضُجَ عقلهم، وحث على حفظ أموالِ اليتَامَى لتَسْلَمَ لهم في رَشْدِهِمْ.

إنّ المعنى العام والظاهِرِي بشَكْلٍ واضِحٍ والّذي يُفْهَم من الآيَةِ أنّها تَحُثُ على إعطاء أمْوَالِ اليَتَامَى، هذا هو الشكل المباشر الّذي نلْحظه إلا أنّه توجد دلالة ومعاني مبهمة وخفيّة غير الأولى يكمن في الأمْرِ بالحفاظ والدعوة إلى الإبقاء عليها سَالِمَةً دون تَبْذِيرٍ وصَرْفِ ما لا ينفعُ به الصغِير، دون التعرّضِ لها بسوءٍ والعتُوِّ فيها فسادا والعبثِ بها.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص219.

4. قال الله تعالى:**أجعلتم سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾{التوبة: 19.}**

الآيةُ مُتَمِمَةُ ومُكَمّلةٌ للآيَةِ الّتي سبقتها "إنّما يعمر مسجد الله من آمن بالله واليوم الآخر" حيثُ وَضَّحَتْ هذه الآية اجعلتم سقاية الحاج " **لإظهار هذه الآية يَقْتَضِي أنّها خِطَابٌ لقَوْمٍ سَوَوْا بين سِقَايَةِ الحَاجِ وبين الجِهَادِ والهِجْرَةِ، في أنّ كلّ ذلك من عملِ البرِّ، وذُكِرَ الإيمانِ واليومِ الآخِرِ ليس لأنّه مَحَلَ التَسْوِيَةِ المَرْدُودِ عليهم لأنّهم لم يَدّعُوا التَسْوِيَةَ بين السِقَايَةِ أو العِمَارَةِ من دون الإيمَانِ، بل ذَكِرَ الإيمانُ ادْمَاجُ لإيمَاءٍ إلى أنّ الجِهَادَ أَثَرُ الإيمانِ، وهو مُلَازِمُ الإيمانِ، ولا يَجُوزُ للمُؤْمِنِ التَنَاصُلَ منه بِعِلّةِ اشْتِغَالِهِ له بِسِقَايَةِ الحاجِ وعمَارَةِ المسْجِدِ الحَرَامِ.**"[1]

تُعطِي الآية اشارَةً واضِحَةً إلى القَوْمِ الّذين سَاووا وجَعَلوا مَرْتَبَةِ سِقَايَةِ الحجَاجِ وعِمَارَةِ المسجد الحرامِ مُمَاثِلَةً للجِهَادِ في سبيل الله والإيمانِ باليَوْمِ الآخِرِ والتَخَلّفِ عن الجِهَادِ في سبيلِهِ. فالمَقَامُ الّذي جاءتْ فيه الآية ذِكْرُ الإيمانِ دَلَالَة على الجِهَادِ وأنّه هو أَثَرُ الإيمانِ في النفوسِ فلا يجُوزُ للمؤمنِ الاشْتِغَالِ بأُمُورٍ ثَانَوِيَةٍ عوضًا عن الأمورِ والمشَاغِلِ الرئِيسِيَةِ وهي الإيمان بالله، نستخلصُ إذَن: أنّ هذينِ العملَيْنِ لا يَسْتَوِيَانِ أي: سِقَايَةِ الحُجَاجِ والجهادِ في سبيلِ الله.

[1] المرجع السابق، ج10، ص142، ص145.

" ثمّ بيّنَ عدم تَسَوِيهِمْ بقولِهِ " والله لا يهدي القوم الظالمين" أي: لا يَهْدي القوْم الكافرين في أعْمَلِهِم إلى ما هو أَفْضَلْ إذ طَمَسَ على قُلُوبِهم، والمعْنَى انْكَارُ أنّ يَشَبِّهَ المُشْرِكُونَ أعْمَالَهُمْ المُحْبَطَة بالمؤْمِنِ وأَعْمَالَهمْ المُثْبَتَةِ، فالإيمانُ بالله واليومِ الآخِرِ والجِهَادِ بالعمَلِ والنَفْسِ أَعْظَمَ وَأَفْضَلَ دَرَجَةً عند الله من السِقَايَةِ."[1]

خُتِمَتْ الآيَةُ ببيَانِ أنّ الله عزّ وجلّ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَالِمِينَ الّذين كَفَرُوا بها واسْتَكبَروا عن الإيمانِ لأنّ قُلُوبهم مُغْلَقَةٌ وَخُتِمَ على أسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، هذا ما جَعَلَهُمْ في دَائِرَةِ المَغْضُوبِ عليهم. فَهُنا انْكَارٌ وَاضِحٌ على أنّ تَكونَ هَنَاك عَلَاقَة مُشَابَهَةَ بيّن أعْمَالِ المُشْرِكِين والمؤْمِنِينَ.

فالظاهر من الآيةِ هنّا أن العنايةَ والتَركيزَ على القومِ الّذين ساووا بيّن الإيمانِ بالله وسِقايَةِ الحُجَاجِ في حينٍ أنّ المعْنَى المُبْهَمِ والضِمْنِي الّذي يُسْتَنتَجُ من الآيَةِ هو الإشَارَةُ إلى الأقْوَام الّذين قَعَدُوا واعتَزَلَوا الهِجْرَةَ في سبيلِ الله بِحُجّةِ اِشْتِغَالِهِمْ بِعَملِ سِقَايَةِ الحُجَاجِ وَخِدْمَتِهِمْ وتَلْبِيَةِ حاجِيَاتِهِمْ.

كما نُلَاحِظُ اسْتِفْهام انكاري افْتَتِحَتْ به الآية أَجَعَلْتُمْ؟ لمن يُسَوّي بين فهنا وجب حذف المضافِ إليه لتأكيدِ المعنى وصِحَتِهِ.

5. قال المولى: **وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾{البقرة132.}**

[1] وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير، ج10، ص493.

تنطوي الآية على وصِيَةِ إبراهيم عليه السلام لقَوْمِهِ وأولادِهِ قوله تعالى "فلا تموتُنَّ " **نهيٌ عن ترك الإسِلَامِ أَمْرٌ بالثَّبَاتِ علية إلى الموتِ، ولقد أَرَادَ إبراهيم عليه السلام الخَيْرَ لِذُرِيَتِهِ فأَوْصَاهُمْ بالملّةِ الحنيفيَةِ، وكذلك فَعَلَ يَعْقُوب عليه السلام وقالا لهم إنّ الله اخْتَارَ لكم هذا الدين فاثْبِتُوا على الإسْلَامِ ولا تُفَارِقُوهُ، حتى لا تُفاَجِأَكُمْ المنِيّةُ، وأنتم على غير الدينِ الحقِ الّذي اصْطَفاهُ لكم ربُّكُمِ**".[1]

اختارَ الله عزّ وجل لأمَتِهِ الدين الإسْلَامي واصْطَفَاه لهم الدين وَفَضّلَهُ على سائرِ الأدْيَانِ الأخْرى المْجُودَةِ، فَنَهانا الله جلّ جلاله عن تَرْكِ الاسْلام والانحِرافِ إلى دين غير الدين الحنيفِ، وفي الوقتِ ذاتِهِ أمرٌ على الثَّبَاتِ عليه حتى طُلُوعِ الرُوحِ من الجسَدِ فالنبي إبراهيم عليه السلام يُوصِي وَيُؤَكِدُ على أهله ضَرورَةَ التَمَسُّكِ بالحبْلِ الوَثِيقِ الّذي يُوصِلُهم إلى برّ الأمانِ والفَوْزِ العَظيمِ، وكذلك ينهاهم عن المفارقةِ أو الخُروجِ عن ملةِ إبراهيم عليه السلام والدين الإسْلَامي.

فساعة الأجلِ لا تَعْرِفُ وقْتًا ولا تَضْرِبُ موْعِدًا من قبلُ لصَاحِبِهَا لهذا كان من الواجِبِ الحِرْصِ على المُدَاوَمَةِ والاسْتِمْرَارِ في التَعَبُّدِ لله وحْدهُ دون سواه.

فالظاهرُ من أسْلُوبِ النهي في قوله لا تَمُوتُنّ إلا وأنتم مسْلِمُونَ والذّي يَتَبادَرُ ويَتَصَوّرُ للوهْلَةِ الأولى للسَامعِ هو نهي عن الموتِ الآن وهو على حالة الإسْلَامِ، لكن المقْصُودَ الحقيقي الكامن بِشَكْلٍ حرفي وَضَّحَهُ السياق الّذي قيلت فيه هذه الآية وهو ضَرُورَةِ الثَبَات والتمسكِ بحَبْلِ الإسْلَامِ حتى لَحْظَةِ الموتِ، فهذا هو الأمرُ الّذي يُسْتَخْلَصُ وَيُفْهَمُ من الآيةِ الآنفةِ، وأمرٌ بالدعْوَةِ إلى التَخَلُّقِ والاتصَافِ بالصِفَاتِ والمبَادئ الّتي يَدعوا إليها

[1] المرجع السابق، ج1، ص344.

هذا الدينِ، وترْكِ كلّ مكروهٍ يَرْفُضُهُ وَيَنْبُذُهُ الإسلام، حتى إذا توفَتْهُمْ المَنِية كانوا من السُعَداءِ والناجِحِينَ.

6. وفي قوله تعالى: إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾{آل عمران 160.}

" لو حُمِلَ هذا الخبرُ على ظاهِرِ الإخْبَارِ لكان الإخبارُ بأمرٍ معلومٍ عند المخَاطبينَ إذ هم مؤمنونَ ولا يَجْهَلُ مؤْمِنٌ أنّ الله إذا قدرَ نَصْرَ أحدٍ فلا رَدّ لنصْرِهِ، وأنّه إذا قدر خَذْلَهُ فلا مَلْجَأَ له من الهَزِيمَةِ، فإنّ مثل هذا المعنى المحقق في جَانِبِ الله لا يَجْهَلُهُ مُعْتَرِفٌ بالأُلُوهِيَةِ، فَيَتَعَيّنُ أن يَكُون الخبر مراد غيرُ ظَاهِرِ الإخبارِ".[1]

إنّ المُؤْمِنَ على يَقِينِ كبِيرٍ بأن كلّ شَيْءٍ مقدَرٌ ومكتُوبٌ له من عند الله تبارك وتعالى فلنّ يُصِيبَهُ إلا ما قد كَتَبَهُ الله له حتى لو اجتَمعَت الإنسُ والجنُ على احْدَاثِ عكسِ ذلك فلن يُفْلِحُوا أبدًا، فإنّ الله تعالى كافٍ عباده في كلّ شيءٍ.

" وفي ضمنِ ذلك تَثْنِيَةُ إلى أن نصر قَوْمًا في بعضِ الأيَامِ وخذْلِهِ إياهم في بَعْضِها لا يَكون إلا لحكم وأسْبَابٍ، فعليهم السعْيَ في أسْبَابِ الرضا الموجبِ للنَصْرِ وتَجَنُّبِ أسْبَابِ السُخْطِ الموجب للخذل.[2] بحكمةٍ ربَانيّةٍ يَعْلَمُها علّام الغيوبِ يُقَدّرُ للذّين يُجاهِدُون في سبيل الحقِ مرّاتٍ نصْرًا لا مثِيلَ له ومرّاتٍ يَخْذُلُهُمْ ويَلْحَقَهُمْ بِنَكَبَاتٍ يَعْلَمُها الله وحدُهُ.

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص152.

[2] المرجع نفسه، ص152.

فالظاهرُ أن الآية تحْتَوي على إخْبَارٍ ومَعْلُومةٍ جديدَةٍ، لكنّ الإخْبَارُ هنا مفادها معلُومةٌ يَعْلَمُها ويُدرِكُها الجميع هي أنّ كلّ من النصْرِ والهزيمةِ مكْتُوبَانِ من عند البارئ سُبْحانه وحدهُ، بَيْدَ أنّ هناك معنى آخر يَقْتَضِيهِ السياق والمقامِ التَخَاطُبِي لهاته الآيَةِ أنّ يكون تقريرٌ المقْصُودُ منه الترفيهِ وتَسْليَةِ المؤْمنين، إثر هذا المصَابِ الّذي حصَلَ لهم وهو الهزيمة في الحرْبِ حتى لا تتثَبَّطَ عزائِمهُمْ ويَتَخَلوْا عن الاسْتِمْرَارِ في مواصلةِ السَيْرِ والجِهَادِ في سبيل الله.

7. قال الله عزّ وجلّ: **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾{البقرة: 84.}**

تعود المناسبة التاريخيةَ لنُزُولِ الآيَةُ من أجْلِ تَوْضِيحِ وتَسْلِيطِ الضَوْءِ على بعْضِ الحالاتِ الّتي خَالَفَ فيها اليَهُود حَيْثُ كانوا يُقْتُلُونَ بعضهم البعض، ويخرجون بعضهم البعض من الأمورِ الشَائِعَةِ والمعروفةِ عندهم وظَلّوا على هاته الحالةِ حتى ظُّهور الإسْلَامِ، حين أمر الله نبيه محمد عليه الصلاة والسلام أنّ يُوضّحَ لهم أنّهم نَقَضُوا عهدهم" **واذكُرْ يا محمد لليَهُودِ وقْتَ أخَذْنا عليهم التوراة العهد بأنّ لا يقْتُلُ بعضهم بعضا، ولا يُخْرِج بعضهم بعْضا من دياره، وفي تعبير دماءكُمْ أنفسهم إشارة إلى أن دم غيْرِهِ من المجْتَمعِ كدَمِ نفسِه.**"[1]

أمر الله عزّ وجلّ نبيه محمد صلّى الله عليه وسلم أنّ يَذْكَرَ ويُنَبّهَ اليهودَ على أنّهم نُهُوا على أن يَقْتُل بعضهم بعضًا، ولا حتى يُخْرِجُون بعضهم بعْضًا من بلادهم هذا هو المعنى

[1] وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير، ج1، ص236.

العام فالقَتْلُ للأنْفُسِ محرّمٌ وإنّ فعلوا هذا الأمر فإنّ الحُجَّةُ موجودة في غير صالِحهم ولا تَخْدُمُهم، وهذا بسبَبِ قبولهم ذلك الميثاقِ.

فليس المرادُ من الآيَةِ أنّ يَسْفِكَ وَيَهْدِرَ المرْءُ دمه بنفْسِهِ أو حتى أن يُخرِجَ نفسهُ من منزلهِ لأنّ هذا الأمر خارجٌ عن طبيعَةِ البَشَرِيَةِ للإنْسَانِ، فالنهي الذّي جاءت به الآية ليس في هذا المعنى، وإنّما المغْزى والمقْصُودُ هو النهيُ عن قَتْلِ النفسِ الّتي حَرَّمَ الله بغير سَوابِقَ ومُسَبِبَاتٍ.

فهنا إشارة إلى قَتْلِ أَبْنَاءِ المجْتَمَعِ فلو كان النهيُ عن قتلِ الرَجُلِ لنَفْسِهِ فلا فائِدَة من النهي لأنّ الشَيْء البَديهي أنّ الإنْسَانَ لا يَقْتُلْ ذَاته.

وَيَدُلُّ ضمير المتصل واسْنادهِ إلى الفاعل على أن المفعول به للفعلِ تُسْفِكُون دلالة على القَائِمين بِفِعْلِ السَفْكِ.

2.1: الافتراض المسبق.

1. قال جلّ جلاه: **فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾{النساء: 41.}**

يوم يُعْرضُ الناسُ جميعا صفًا صَفًا لِيُحَاسَبوا على أعمالِهم وأفعالِهم وصَنِيعِهم في الدنيَا، فكلّ واحدٍ يُجْزَى بما كسَبَتِ يداه حتى لو كان مثقال من ذرّةٍ لا يخْفَى عِلْمُهُما على عَلامِ الغيُوبِ، فإذا كانت عملا يَرضَاه هو مكْتُوبٌ في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ، وإذا كان عكس ذلك فهو محفُوظٌ في لوحٍ مَخْتومٍ، فرَبّنا تبارك وتعالى شَأْنُهُ يَأْتِ بالرُسُلِ لِيَشْهَدُوا على الملَإِ أنّهم بلّغوا رِسَالَتَهُ خاصةً على ذوي الكفارِ الّذين تَجَاهَلوا هذه الدعوة "**والحَالَة الّتي دلّ عليها الاسْتِفْهام في التعجُبِ تؤذن بِحالَةٍ مهولَةٍ للمَشْرْكينَ وتُنَادِي على حيرَتِهِمْ ومحاولتهمْ التَمَلّصَ من العِقَابِ بِسُلُوكِ انكَارِ أن يَكُون انذارٌ مما دَلَّ عليه مَجيءَ شَهيدٍ عليهم، وهؤلاءِ إشارة إلى الّذين دعاهم النبي عليه الصلاة والسلام لِحُضُورِهم في ذِهْنِ السَامِعِ عند سَماعِهِ اسم الاشَارة وأصْلُ الإشَارَةِ أن يَكون إلى مَشَاهِدَ في الوجودِ أو منزّلَ منزِلَتَهُ.**"[1]اسْتُخْدم الاسْتِفْهام في هذه الآية للدلَالَةِ على التعجّبِ من حالِ المُشْرِكين والمُكَذّبين عند مُحاوَلَتِهم الإفْلَاتِ من العِقَابِ والتَنَكّرِ حيث نفوا أن يكون أتَاهم بَشِيرا وَنَذِيرًا يَعِظُهُمْ وَيَحُثّهم على ما هم عليه اليوم واخْرَجِهمْ من الظَلُماتِ الغارقِينَ فيها وَيُنَوّرَ لهم دَروبَ السبِيلِ إلى ما هو خير والتمسكِ بحبلِ الفلاحِ والفَوْز العظِيمِ.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، ج5، ص57.

نسْتَخْلِصُ من هذه الآيةِ وُجُود آلِيَةَ الافْتِرَاضِ المُسْبَقِ لِتَحْقيقِ التواصُلِ، حيْثُ تنطوي على إلْزاميةِ وجود خلْفياتِ وأفْكارٍ في ذهْنِ المُتَلقِي، وهذه الأخيرة (الأفكار) تُحَدِّدُها وتضْبِطُها مُعْطَيَات لُغَوِيَةٌ وغير لغوية مُقَيّدة وقائِمةٌ على دعامَةِ السِيَاقاتِ.

هنا طُرِحَ السؤال تعجُبًا لِحَالةِ المُكَذّبين الّذين ادعوا وزعموا أنّهم لم يَتَلَقَوا رِسَالاتٍ ونصائِحِ ومواعِظٍ من عند الرُّسُلِ بُغْيَةَ التَعْرِيفِ بالدين الإسْلَامي واعطَائِهِمْ النّبَأَ اليقِين بوجودِ العَظَمَةِ الرَبَانِيّةِ.

ففي هذا المقام كلا الطرفَيْنِ المشَاركين في الخطابِ يَمِلِكون خلفيات وحيْثِيات عمّا يَجْرِي، حتى يَكون التواصُلَ ناجِح وفعّال، فهؤلاء المكذبون يكْسِبون معارف سابقَةٍ عن ماهيةِ الدين، فحين وصلهم العذاب ورأوا بأمِّ أعْيُنِهم أنكروا وأجْحَدوا ذلك، في الوقتِ نفسهِ النّبي الأمين عليه الصلاة والسلام يَعْلَمُ بأمرِ وحالِ هؤلاء الكَفَرةِ المكذبين.

2. ونجد في قوله تعالى: **قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾{القصص: 26.}**

جاءت الآية لتَقُصَّ حكاية موسى عليه السلام وما حصل له مع البنْتينِ حين سقا لهما الأغنامِ، مع ذكْرِ العرْضِ الّذي بَدَرَ من عند إحدى البنتينِ ليعمل عندهما ويَخْلفهما في ذلك العملِ.

"فحُذِفَ ما لقيَهُ موسى من شعيبٍ من الجزاءِ بإضافَتِهِ وإطعامِهِ، وانْتَقَلَ منه إلى عرضِ إحْدى المرْأَتَيْنِ على أبيها أن يَسْتَأْجِرَهُ للعملِ في ماشِيَتِهِ، فلما رَأَتْ أمانتَهُ وورعه رأتْ أنّه خَيْرَ من يُسْتَأجر للعملِ عندهم، وجملة إنّ خير من اسْتَأجَرْتَ القوي الأمين، علّةٌ للإشَارةِ عليه باسْتِئْجَارِهِ أي: لأنّ مثله من يُسْتَأْجَرُ.[1]

الآيةُ نوع من أنواعِ السَرْدِ القَصَصي القرْآني تدور مجرياتُ القِصَةِ مع النّبي موسى عليه السلام عندما فرَّ ولاذَ بالفَرارِ من القومِ الّذين اتهموه وألْصَقُوا فيه تُهْمَة قَتْلِ الرَجُلِ ظُلْمًا وطغْيانًا، وبغيْرِ حقٍ، فبعْدما سقى للبنتين (بنات شعيب) وأَوْرَدَ القَطيع لهما ذهبت الكبرى وقصَتْ ما وقع معهما أثناء الرعْيِ، فسرْعان ما تفَطَنَتِ البنت إلى فكرَةِ اسْتِأجارِهِ، فطلبت من أبيها أنّ يَدْعوه ليكون أجيرا وعاملا عندهم نتيجة ما رأتْ من خصال الشجاعة والقوة والأمانةِ...إلخ.

لهذا كانت الصفاتُ الّتي يَتحلّى ويمتاز بها كليم الرحمان موسى عليه السلام كافيةً لتأهيلِهِ بأنّ يَحْظى بهذه الفرْصَةِ بحكْمةٍ ربانية لنجاتهِ من القوم الّذين يسْعَوْنَ إلى قتله والغَدْرِ به والداعي الأوّل لاسْتِئجَارِهِ وفي عبارة" القوّيُ الأمين" أي: أنّه قوّي وأمين لا يَخون العهود والأماناتِ الّتي أُؤْتُمن عليها.

كلّ من البنتِ والوالد لديهما مكتَسَبَاتٍ وخلفياتٍ اسْتَنَدا عليها في هذا الكلام

بخصُوصِ موسى عليه السلام وخصَالِهِ الحميدةِ وشَخْصيَتِهِ القويةِ، مما ساهم بقسْطٍ وافرٍ في نجاحِ العمل التواصُلِي بينهما (البنت وأبوها)

[1] المرجع السابق، ج20، ص105.

يكمن الافتراض المسبق في هذه الآيةِ بقوله: أنّ خير من اسْتأجرت **القوي الأمين** فهي أخْبرت (والدها) عن كيفية رفعِهِ الحجر بمُفْرَدِهِ من دون أي عَائِقٍ من على الجبّ وسقْيِهِ للأغنامِ هذا علاوة على هذا تميّزِهِ بأهم صفةٍ ومبْدئٍ وهو سِمةُ **الأمانةِ**.

3. قال عزّ من قائل في محكم تنزيلهِ: **أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ {آل عمران: 165.}**

نزلت الآية بعد غزْوَة أحد إثر الهزيمةِ الّتي لحقتْ بأتباعِ الرسُول عليه الصلاة والسلام جرّاء تَخَليهم عن أماكِنِهم الّتي كانوا مُتَموقِعين فيها حيث ورد الاسْتِفْهامِ والاسْتفْسار انكاري على صيغةِ التعجّبِ والدهْشَةِ "**فإنّ قولهم: أنّى هذا مما يَنْكر ويَتَعَجَب السامِعُ من صُدُورِهِ منهم بعدما علمُوا ما أتَوا من أسْبابِ المصيبَةِ.**"[1]

يعود زمن نزول الآية عقِبَ غزوة أحد عند انهزامِ المسْلِمين الّذين كانوا مع حظْرَةِ النّبي عليه الصلاة والسلام، حيْثُ جاء سؤالهم انكاريا **أنّى هذا؟** وعدم التقبل لهاته

الهزِيمةِ، فبالنسبةِ لهم من غيرِ المعقولِ أنّ تلحق بهم خسَارَةٌ وهم أتباع الرسولِ الكرِيمِ علية أفضل وازْكى الصلواتِ، مع علمهم أنّ السبب الأساسي في مُصِيبَتِهم هو أنهم لم يَمْتثلوا للأوامِرِ الّتي أملاها عليهم النبي قبل **خوضِ** غمارِ المعركةِ فتسارعُوا لجمع وتقاسم الغنائِمِ.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص160.

نلحظ في الآيةِ كذلك جناس في كلمتي **أصَابتكم مصيبة** فالله ذكّرهم بأنّهم سَيغْلبون بعد هذه النكبة، فكانت خسارة المؤمنين مرة واحدة على عكسِ خسارة الكفارِ فكانت مرتين.

والله تعالى هو القادر على كلّ شيء والقدير الاسم الرابع والستين من أسْماء الله الحسْنى وصفاتِهِ العلا ويعني به "**القديرُ الّذي ليس كمثْلِهِ شيء في قُدْرَتِهِ، الحي القيوم الّذي ليس كمثله شيء في حيَاتِهِ وقيوميتِه.**"[1]

فالله وحده هو القادرِ ويمْلكِ قدرةَ تسييرِ هذا الكون، هو الخالق وحده فليس هناك من يملك القدرة وقوة كقدرته سبحانهِ كقُدْرَتِهِ سبحانه.

يكمن الافتراض المسبق في الآية حول معرفة كلّ من النبي عليه الصلاة والسلام وأتباعِهِ عن الدافع الأوّلِ والأخير الّذي أدى بهم بالرجُوع خائبين من المعركة فهذا الضرر سَبَبه كونهم تخلفوا وتركوا مواقعهم فارغة وتسابقوا إلى لمِّ شَتَاتِ الغنائِمِ، حتى

أصْبَحوا في مصيدَةِ العدو الّذي كان يَتَرَبص بهم من الخلفِ دون علمٍ منهم، فكانوا

منكرين لهذا المآلِ الّذي أصبحوا إليْهِ محاولين تلافي تناسي وتلافِي الذنْبَ الّذي اقْتَرَفوه بأيديهم وأفعالهم الطائشَةِ غير المحتكِمةِ بالفطنة والذكاء.

[1] عمر سليمان الأشقر، شرح ابن القيم لأسماء الله الحسنى، دار النفائس، ط1، عمان، الأردن، 2008م، ص147.

4. قال تعالى: **فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾{القصص: 24.}**

تسْردُ لنا الآية قصة موسى عليه السلام عند ذَهابِهِ إلى أرْضِ مدين وهجرَانِهِ لآلِ فرعون، فلما شَقَ سبيله إلى مدين وهو على الطريقِ لمح بنتانِ تحُومانِ ولا تسْتَطيع أن ترْوِي غنمهما، فتَقَرّبَ منهما واسْتَفْسَرَ عن سببِ عُزوفِهما عن السقيِ، فلما زال الابهام عنه تولى أمْرَ سِقَايَةِ الأغْنامِ، ثم انصرف إلى الظلّ" **وقد عقبَ ايواءه إلى الظِلِّ بمناجاةِ رَبّهِ إذ قال ربّ إني لما أنزلت إلى من خيرٍ فقيرٌ، لما اسْتَراح من مشَقَةِ المتحِ والسَقيِ لماشِيَةِ المرأتَيْنِ والاقْتِحامِ بهما في عدد الرعاء العديدِ، ووجد برْدَ الظِلّ تذكَرَ بهذه النعْمة نِعَما سابِقَةً أسْداها الله إليهِ من نجاتِهِ من القتْلِ وايتائه الحِكمةَ والعِلْمِ، وايصاله إلى أرْضِ معمورةٍ بأمَةٍ عَظيمَةٍ بعد أنّ قطعَ في فيافي تذَكر جميع ذلك في نعمة البردِ والظلّ والراحةِ من التعبِ فجاء بجملة جامعة للشُكْرِ والثناءِ.**"[1]

بعد أنّ فرط النبي موسى عليه السلام وروي مواشي البنتَيْنِ من البئرِ انصَرَفَ ليَسْتريح تحت ظل الشجرة كانت في ذالك الموضعِ، فكليم الله كان يشْعُر بجوعٍ شديدٍ لأنّه لم يَتَذوق الطعام طوال رحلته إلى مدين مدّة سبعة أيام، حتى وصل لشدّةِ أنّ التصقَ بطنهُ بظَهْرِهِ، وهو على هذه الحالة اسْتَرْجع بذاكرَتِهِ النعم الّتي منَّ الله بها عليه من قبل فناجى ربّه وهو يَعْلم علما يَقينا أنّ ربه لا يرّدُ له أمرًا ولا طلب.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 20، ص102.

فالنبي موسى عليه السلام كان له خلفيات ومعرفة سابقة بأن الله كريم رحيم

خاصة لما رأى منه من الكرمِ، فلّما دعاه يعلم أنّه لا يخْذله ولا يرجعه خائبًا وهذه شكْوى إلى الله والطلب منه بأدب رفيعٍ جدًا فهذا هو موضع الافتراض المسبق في الآيةِ، كما نلاحظ أنّ كلمة تولّى مرادفة لكلمة ولّى فهنا جاءتْ مزيدة بتاء" تولى" فكل زيادة في المبنى زيادة في المعنى، فتولّى أشَدُ من ولّى خدْمة للغرض الّذي وردت فيه.

3.1: الأقوال المضمرة.

للقولِ المضمر دلالاتٍ ومعاني حرفيةٍ واضِحَةٍ وأخرى دلالاتٍ غير حرفية تُسْتدَلُ عليها من خلالِ مرجعِيَةِ السياقِ، وسَأوردُ بعض الآياتِ الّتي يُمكنُ تطبيق واسْقاط عليها آلِيَةَ التحليل المتمثِلَةِ في القولِ المضْمرِ منها:

1. قال سبحانه: **فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾{هود: 106.}**

المقْصود من الآيةِ على ضوءِ تفسير فخر الدين الرازي بقوله: "**أنّه لم يبعد أنّ يَكون المرَادُ من الزفير قوة ميلهم إلى عالم الدُنيَا وإلى اللذَاتِ الجسدانية، والمُراد من الشَهِيقِ ضُعْفهم عن الاسْتسْعَادِ بعالمِ الروحَانِيَاتِ والاسْتكْمَالِ بالأنوار الإلهية والمعارِجِ القُدْسِيَةِ.**"[1]

اسْتُخْدمتِ كلمة الزفيرِ لتجْسِيدِ صُورَةِ الأشْخَاصِ المتمسكين بالحياة الدُنْيَا أشَدَّ تمسُكٍ وتَعَلّقٍ بها، بكلّ قُدُرَاتهم وقواتِهم بُغْيَةَ اتباعِ الأهْواءِ وارْضَاءِ الرَغَبَاتِ الّتي تُمْلِيها عليهم أنفسهم الأمارة بالسوء، أمّا الشهيق فهو عكس الأولِ (الزفير) فمعناه ضعف النفسِ وقلّةِ الإيمانِ والتصْديقِ الجازم للوصُولِ إلى دار النجاة والفلاح الأبدي" **فأما الّذين شقوا أي فأما الأشْقياءِ فهم في جهنّمِ والكرْبِ وضِيقِ الصدْرِ وفير وشهيقٌ واخراجِهِمْ النفس شهيقٌ لما هم فيه عليه من العذابِ.**"[2] فالأشْقياء هم الّذين حق عليهم عذاب الله

---

[1] محمد فخر الدين الرازي، تفسير الفخر الرازي التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، 1981م، ج18، ص64.

[2] وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير، ج12، ص474.

عزّ وجلّ نكالا لهم بما كانوا يفْعلُون في الدنيا وجَرّاء صَنِيعِهم الدُنْيَوي لهذا عبّر عنه بضِيقِ الصَدرِ فكان اخْرَاجُ النَفْسِ من داخلِ الصدْرِ لماهم فيه، فالمراد من هذا هو دلالة على شِدّةِ كبرِهم وغَمِهِمْ. يتضح في الآية معنى مضمر غيرُ موجودٍ بشكلٍ جلّيٍ على سطح الخطابِ القرْآني، بل المعنى والدليل يُسْتَدَلُ من خلالِ السياقِ الّذي جاءت فيه.

فالمعنى المضمر من دلالتي الكلمتين الوفير والشهيق ليس بمفهوم الدليلِ العامِ للسِيَاقَاتِ الّتي ترِدُ فيه، فمعنى المضمر والخفي هو الّذي جاءتا (الزفير والشهيق) للدلالة على شدّةِ كبرهم وغمهم للحالِ الّذي أضْحوا إليها فهم في نار جهنّم يُعَذبون.

2. قال تعالى: **خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾{هود: 107. }**

المعنى الإجمالي للآيةِ في قولِهِ" خالدين فيها مادامتِ السماوات والأرض هو: " **أي مدّة دواهما في الدنيا، وليس المراد ارتباط دوامهم في النار بدوام السماواتِ والأرْضِ، فإن النُصُوصَ دالةٌ على تأييد دوامهم، وفي قوله إلّا ما شاء الله يُرادُ بهما الاسْتِثْناءُ لدلالَةِ على الثبوتِ والاسْتِمرَارِ، لأنّه ثَبَتَ خلود أهلِ الجنّةِ والنار فيهما إلى الأبَدِ من غيْرِ الاسْتثناء، والمقصودِ بذلك بيان أن الخلُود بمشيئةِ الله تعالى ولا يخْرُجُ شيء في الدنيا عن المشيئَةِ الإلهية.**"[1]يدل كلام الله جلّ جلاله في تنزيله أنّ هذه الآية تابعة وموضّحة للآية التي سلف ذكرها من قبلُ: (فأما الّذين شقوا ففي النار)لتكشف وتُوضّحَ

[1] المرجع السابق، ص471، ص475.

المدّة الزمنيّة والحال الّتي يبقى عليها هؤلاء الّذين كُتِبَ عليهم الشقاء في الدنيا، أي أنّ هاتِهِ المدّةُ فعالة في الحياة الدنيوية، على عكس الشيء الظاهر من الآيةِ حيث يُسْتَشَفُ من الوهلة الأولى لسماعِ كلِماتِ ونظمِ الآية أنّ مدة عذابهم في نار جهنّم يطولُ دوامه وشدّتُهُ بمدى دوام السماوات والأرضِ، بيد أنّ الدوام والخلُود كائِنٌ بمشيئَةِ ربانيَّةٍ يَعْلَمُها عالم الغيْبِ والسماواتِ، فزوالُ هذا العذابِ والعقابِ العسيرِ يَدّلُ على زَوالِهِ في وقْت هذا الاستثناء أي من الخلود في النار.

" **فمعنى الاسْتثْناء في قوله إلا ما شاء ربّك من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنّة، وذلك أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده، بل يُعَذّبُون بالزمهرير بأنواعٍ من العذاب سوى عذاب النارّ وكذلك أهل الجنة سوى الجنّة وما هو أكبر وأجل موقعا منهم وهو رضوانِ.**"[1] إنّ دلالة الاستثناء في هذا الموضعِ هو أنّ الأشخاص المعذبون عليهم في نار جهنم خُلودًا أبدًا لوحده، بل يُعذّبون بعذاب آخر غير النار، فهذه الأخيرة لها درجاتٍ من العقاب والحساب تقع على عاتقه هاته الفئاتِ، والشيء يُماثله بالنسبَةِ للأشخاصِ الّذين ينعمون بجنّةِ الفردوسِ لأنّ الجنّة درجات ومنازل من النعِيمِ يُكرِمُ بها الله عباده الصالحين حيثُ جاءت ما ظرفية وهي مصدرية فحذفت مهنا الكلمة الّتي تدل علي الزمان وهي "مُدّة".

فالظاهر أن مدة دوام هذا العذاب مُقْتَرِنٌ بمدى دوام السماواتِ والأرضِ أي مالم تقم الساعة هذا هو المعنى الّذي يتبادر للأذهانِ من اللحظةِ الأولى، غير أنّ هناك دلالة

[1] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، ط3، بيروت، لبنان، 2009م، ص،ص، 498، 499.

مُضْمَرَةٌ في القول يشير ويحيل عليها السياق اللغوي وغير اللغوي الّذي قيلَتْ فيه الآية "خالدين فيها مادامت السماوات والأرض" أي: مدة دوامها في الدنيا، وليس كما كان مفهوم بشَكلِ جلّي من السطحِ، فهذا هو المعنى الّذي اسْتُنْبِطَ بالرجوع إلى السياقِ.

يستنتج مما سبق قوله إنّ مدة عقاب هؤلاء الّذين لم تلين قلوبهم ولم ينْصَاعوا لهدي النبي عليه الصلاة والسلام والرسالةِ السماويَّةِ الّتي يحْملُها ويبلّغها لا تساوي ولا تماثل مدة بقاء السماواتِ والأرْضِ فهذا الشيء يُنافي الأوّل أي مدة دوام السماءِ لا تساوي مدّة العقابِ.

المبحث الثاني: تطبيق الاستلزام الحواري في النص القرآني.

1.2.قاعدة الكم (الكمية) جاء في كتاب الله العظيم قوله تعالى :

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾{الأعراف: 54.}

تنطوي الآية الرابعةُ والخمسونَ من سورَةِ الأعرافِ الّتي نزلت في مكة على العديد من التنْبِيهاتِ والارْشادات والاستدلالات، لغرضِ التنويهِ بوجُود الله وعلى أنّه هو الخالقُ والبارئ المصورُ للأَكْوَانِ" **فجاءت أغرَاضُ هذه السور متماسكَةً، فإنّها ابتدأت بذكر القرآنِ والأمرِ باتبَاعِهِ وَنَبْذِ ما يَصُدُّ عنه وهو اتباع الشرْكِ، ثُمَّ التذكِيرِ بالأُمَمِ التِّي اعرضَتْ عن طاعَةِ رُسُلِ الله ثُمَّ الاسْتِدْلَالِ على وَحْدَانِيَتِهِ"**[1]

فهذّه جملةٌ من الأَغْرَاضِ التّي ورد ذكْرُهَا في سورة الأعراف، بُغْيَةِ الوصُولِ إلى كَيْنُونَةِ عظمةِ الله وَتَبْيِينِ قُدْرَتِهِ وَقُوَتِهِ وَسِعَةِ علمهِ في هذَا الكونِ، لَعَلَّ وعَسَى يَكُونُ من سَامعٍ عاقِلٍ يَسْتَجِيبُ لهَذّا النِدَاءِ.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج8، ص374.

" فلا جَرَمَ تَهَيَأَتِ الأَسْمَاعُ والقُلُوبُ لِتَلَقِي الحُجَّةِ على أنَّ الله إله واحِدٌ، وأَنّ آلِهَةَ المُشْرِكِين ضِلَالٌ وَبَاطِلٌ، ثُمَّ بَيَانِ عَظَمَةِ قُدْرَتِهِ وَمَجْدِهِ فلذّلِكَ اسْتَأْنَفَ بِجُمْلَةِ "إِنّ رَبَكُم الله" للتَذْكِير، وكان قولهُ هَذّا (إنَّ ربكم الله) بِمَنْزِلَةِ النَتيجَةِ للبُرْهَانِ، والنتِيجَةُ مُسَاوِيَةٌ للمطلُوبِ إلّا أَنّها تُؤْخَذُ أوضح وَأَشَدَّ تفصيلا."[1]

لما انطلقَ موسى مع السيد الخَضر عليهما السلام لطلبِ الحكمة، لم يكُنْ صَابِرًا وَمُتَأَنِيَا في طلَبِهِ للمعرفَةِ، فالمخَاطَبُ في هذه الآيَةُ مهَيَأ نفْسَهُ لِسَمعِ مجموعةٍ من الحُجَجِ والبَرَاهينِ للاسْتِدْلَالِ بِها على أَنَّ الله واحدٌ أَحدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ لم يلد ولم يولد بعزته وَجَبَرُوتِهِ، في المقابلِ بَيَّانٌ أَنَّ الآلهةُ التّي اتَخَذَها أولئكَ المُشْرِكُونَ وكانوا يُقَدِسُونَها أَعْظَمَ تَقْدِيسٍ بَاطِلَةٍ وأَنَّ زَعْمَهُمْ هَذَا باطِلٌ، فَكانت النتِيجَةُ الحَتْمِيَةُ الّتِي استدلَ بها هي قولُهُ" إنّ ربكم الله"

نلحظُ أنّ الآيَةُ الكريمة تَحمِلُ جُمْلَةٌ من المعلوماتِ وَتُقَدِمُ القَدْرَ الكَافِ للأَخْبَارِ، فَهُنَّا اشَارَةٌ إلى قاعدة الكمِ من قَوَاعِدِ الاسْتِلْزَامِ الحِوَاري الّتي ذكرها غرايس في ضَبْطِ قَوَاعِدِهِ للاستلزام الحواري.

فنها قدّم معلومات للمتلقي تفيد بوحدانِيَةِ الله وهي: خلق السماوات والأرضِ في ستة أيام، اسْتوى على العرشِ، يغشي الليل النهار...إلخ.

فالمَعْنَى العام هو معرفَةُ الله وقُدْرَتِهِ على الخلْقِ، والمَعْنَى المُسْتَلْزَمِ غير المُبَاشِرِ من الآيةِ هو ضَرُورَةِ الإيمانِ وَتَوْحِيد عظمة الله.

[1] المرجع السابق، ص375.

2. قال تبارك وتعالى:" **قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾{الكهف:78.}**

هَذّا الحوار دار بيّنَ موسى والخضر عليهما السلام لمَّا سَارَ معه في البحْرِ لطلب العلمِ والمَعْرِفَةِ وتَعَلمِ الحِكْمَةِ " **والمُشَارِ إليهِ بلفظ هذّا: مُقَدَرٌ في الذِهْنِ حاصِلٌ من اشْتِرَاطِ موسى على نفسِهِ أَنَّهُ إِنْ سَأَلَهُ عنّ شَيْءٍ بعد سؤالِهِ الثاني فقد انْقَطَعَتِ الصُحْبَةُ، أَيْ هذّا هو الّذي حصَلَ الآنَ هو فراقٌ بَيْنَهِمَا وكَثيرًا ما يكُونُ المشَارِ إِلَيْهِ مُقَدَرًا في الذِهْنِ، وَجُمْلَةُ سَأُنَبِئُكَ تَقَعُ جَوَابًا بالسُؤَالِ يَهْجُسُ في خاطرِ موسى عليْهِ السلام عنّ أَسْبَابِ الأَفْعَالِ الّتِي فَعَلَهَا الخضر عليه السلام، وَسَأَلَهُ عنّها موسى فإنّهُ قد وعدهُ أَنْ يُحْدِثَ لهُ ذِكْرًا مما يفعَلُهُ.**[1]

لما انطلق النبي موسى السيد الخضر عليهما السلام لطلب الحكمة، لم يكن صابرًا ومتأنيًا في طلب المعرفةِ وكذلك لم يلتزِمْ بالوعدِ الّذي قَطَعَهُ للخضر عليه السلام، أَيْ نَسِيَ أَوْ بالأَحْرَى تَنَاسَى الشَرْطَ الّذي قَطَعَهُ عليه (الخضر عليه السلام) فكانَ دَوْمًا سَبَاقًا للأَحْدَاثِ، فلما سَأَلَهُ السُؤَالَ الأَخِيرِ فكان جواب وَرَدَةُ فِعْلِ الخضر أَنْ قال: هذا فراق بيني وبينك. وهكذا يَعُودُ السَبَبَ الرَئِيسِي في الفِرَاقِ بينهُما (موسى والخضر عليهما السلام) هو سُؤَالَهُ الأَخير.

فَهُنَّا توجد معلومةٌ بقاعدةِ الكمِ وهيَ توفِيرِ القَدْرِ المطلوبِ من الأَخْبَارِ والمعلوماتِ، حيثُ يُوجدُ معْنَى حرفي هو انْقِطَاع انتهاء مرَافَقَتِهِ في طَلَبِ العلم، والمعنى المستلزِمِ غير

[1] المرجع السابق، ج16، ص10.

الحرفي من الحوارِ لَدَى المُخَاطَبْ (النبي موسى عليه السلام) هو الاعْتِرَاضِ عنْ سَبَبِ الفُرَاقِ، فَهُنا خَرْقٌ لقاعدةٍ من قواعِدِ الاسْتِلْزَامِ الحِوَارِي تَتَمَثَّلُ في خرقِ قاعدَةِ الكم بالزِيَادَةِ لأَنَّ أَصْلُهُ "فراق بيني أي حاصِلُ بيننا".

فكان جوابُ الخضر عليه السلام سَأُنَبِئُكَ بِتَأْوِيلِ مَالم تسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا بِمَثَابَةِ العِتَابِ واللَوْمِ للنبي موسى عليه السلام، على عدم وَفَائِهِ بعهده وكثرةِ اسْتِعْجَالِهِ فهذا أَيْضًا مسْتَلْزَم من الحوار أَيْ معنى حَرْفي مَحْكُومٍ بعامِلِ السِيَاقِ.

3. قال عزّ وجلّ:" **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾**{البقرة: 87.}

ورد في قوله تعالى (ولقد ءاتينا موسى الكتاب) "**تمهيد التمهيد وإلّا فهو فقد علمَ من الآيَاتِ السَابِقَةِ فَلَا مُقْتَضَى للإِعْلَامِ به اسْتِقْلَالا هُنّا ولَكِنَّهُ ذُكِرَ لِيَبْنِي عليهِ ما بَعْدَهُ فَكَأَنَهُ تَحصِيلُ حَاصِلٍ لما تقدم أَيْ ولَقَدْ كان ما كان مما تَقَدَمَ وَهو ايتاء موسى الكِتَابَ وقْفِيا أَيْضًا بَعْدَهُ بالرُسِلِ**"[1]

الآيات الّتي سبقت هذه الآية من سورة البقرة تحْوِي على معْلُومَاتٍ عدّة في قوله أولئك الّذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذابُ ولا هم يُنْصَرُونْ" فلا يَقْتَضِي

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص593.

إعادة ذكْرِها هنا، ولكِنَّهُ ذَكَرَها لإعادَةِ البناء على ما بعدَهُ فَهُوَ يُعَدُ تَحْصِيلًا لِما سَبَقَ أَيْ: ايتاءُ موسى الكِتَابَ وَكَذَلِكَ أتَى للرُسُلِ الّذِينَ جاءوا من بَعْدِهِ (موسى عليه السلام)

أمّا قَولُهُ "**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمِ اسْتَكْبَرْتُمْ" فَهُوَ نِهَايَةٌ الذّمِ لهمْ لأَنّ اليهودَ من بني اسرائيلَ كانُّوا إذّا أتَاهُمْ الرَسُولُ بِخِلَافِ ما يَهْوونَ كَذَّبُوهُ وإنْ تَهَيَأَ لَهُمْ قَتَلُوهُ، وإنّمَا كانوا كذّلِكَ لإرادتهم الرفعة في الدنيا وطلبهمْ لذَاتِهِمْ والترَؤُسِ على عامتِهِمْ وَأَخْذِ أمْوَالِهِمْ بغير حقٍ وكانت الرسل تبطل عليهم ذلك فَيُكَذِبُوهُمْ.**" [1]

المُخَاطِبْ في هذه الآيَةِ هُوَ الله عزّ وجلّ فبعد الانتهاء من ذمِهِمْ يُخْبِرُنَا الله تعالى أنّ الرِسَالَةِ لا تقف عند النبي موسى عليه السلام بمُعْجِزَتِهِ، ولكِنَّهُ أَرْسَلَ من بَعْدِهِ أَنْبِيَاءٍ وَرُسُلٍ لينهُوْا ولِيُذَكرُوا القوم وَيَدْعُوهُمْ لعبادةِ الله وترك ما هم عليه، وهَذَا يَعُودُ لسَبَبِ زَعْمِهِمْ وَإيمانِهِمْ بأَنَّهُمْ هم المصدرَ الوحِيدِ للتَشْرِيعِ والآمِرُ الناهي من دون الله، لِهَذَا نَجِدُ كُلَمَا جَاءهمْ رسُولٌ من عند الله كَذَّبُوهُ وَصَدُّهُ عما هو عليهِ وَيَسْعَوْنَ لِسَفْكِ دَمِهِ سُدًى وهذّا في الوقت نفسهِ دليلٌ قاطِعٌ واعتِرَافٌ واضِحٌ منّهم على ضُعْفِهِمْ وقِلَةِ بَصِيرَتِهِمْ.

يُمْكِنُ القَوْلُ: إنَّ الآيَةِ تَضُمُ مِحْورًا من مَحَاوِرِ الاستِلْزامِ الحواري للخِطَابِ القُرآنِي، فالحِوار هنّا جاء على طرح السؤال: أَفَكُلَمَا وهو على شاكلةِ استفهامِ فكان جواب بكلمة استكبرتمْ. فالمعنى الحرفِي هو التوبيخ والمعنى المستلزم من الحوارِ أنَّ كفْرَهَمْ هو سببُ اللعنةِ الّتي وَصَلُوا إلَيْهَا، فهذا هو المعنى غير المباشر الّذي استفهمَ من السِيَاقِ الخِطَابِي والّذي سيقتْ وَأُنْجِزَ فيه هذا الكلام والمحَاورَةُ.

[1] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج3، ص191.

والمعنى منّ هذّا القولِ: إنَّهُمْ كَفَرُوا وَأَنْكَرُوا بآياتِ الله وأَنْكَرُوا ولِمَا آتَاهُمْ فَحَقَتْ عليْهِمْ لَعْنَةُ الله وغَضَبِهِ عليهِمْ وأَضْحَوْا من الخَاسِرِين.

4. قال جلّ في علاه: **وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ** ﴿٨٨﴾**{البقرة: 88.}**

نزلت هذّه الآية لتُبَيّنَ مَوْقِفَ اليَهودِ من الرُسُلِ والكُتُبِ المُنَزَّلَةِ للدَعْوَةِ إلى اتبَاعِ الهُدَى.

حيثُ قالو قُلوبُنَا غُلْفٌ فهي تُشْبِهَ الشَيْءَ المقْفُولِ عليهِ بِشِدَّةٍ ولا يَصَلُ إِلَيْهِ شَيْء مهما كانَ من الدَعْوَةِ المُحَمَدِيَةِ، فقَوْلُهُمْ: فَقَلِيلًا ما يُؤْمِنونَ: "**هو ايمَانُهُمْ ببَعْضِ الكِتَابِ أَو بَعْضَ مَا يَدْعُو له النَّبِي صلّى الله عليه وسلم مما يُوافِقُ دِينَهُمْ القَدِيمِ كالتَوْحِيدِ فإنّ إيمانِ أَفْرَادِ منّهم يَسْتَلْزِمْ صُدُورَ ايمان من مجموع بني إسرائيل في أَزمنة قليلةٍ أو حُصُولِ ايما أو حُصُولِ ايماناتٍ قليلةٍ.**"[1]

ورد في تفْسِيرِ الآية المذكُورَةِ أعلاه أنّ اليَهُودَ لم يُؤْمِنُوا بكل ما جاء به الأنبِيَاء بل تارة يُؤْمِنُونَ ببعْضِ، وتارة أخرى لا يُؤْمِنُونَ، أي إيمانهم غيرُ صَادِقٍ، فإنْ آمَنوا في فترةٍ لا يَعْنِي ذلِكَ بالضَرُورَةِ أَنّهُمْ مُسْتَمِرونَ على هَذَا الإيمَانِ.

لهذّا بيّن لنا سبب نفورهم وعدم اقْتِدَائِهِمْ بالدَعْوَةِ إلى الإسْلَامِ، وأَنَّ عَامِلَ لَعْنَتْهِمْ آيِلٌ بالدَرَجَةِ الأولى إلى شِدّةِ كفرهم وفسادهمْ بالضرورةِ الحتمِيَةِ سَيَكُونُ الجَزَاءُ من جنْسِ العملْ، لما قالوا: قلوبنا غلف: إحالة إلى اليهودِ ومَعْنَى القَوْلِ هَذّا أَنَّ قُلُوبَهمْ مَقْفُولٌ عليها

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص600.

لا تَسْمَعْ ولا تَسْتَجيبْ. بل لعنهم الله: القائلُ هنّا هو النّبِيُ صلّى الله عليه وسلم، والمعنى أنّه حقَ عليهِمْ العَذَابُ يَوْمَ لا تَنْفَعُ شَفَاعَةٌ.

فالمَعْنَى الحَرْفي الّذي يُسْتَنْتَجُ منْ هَذا الخِطَابِ الديني هو اعْرَاضِهِمْ عنْ سَمَاعِ الدَعَوات والانْصَاتِ للدَعْوَةِ المحمديَّةِ لأَنَّ قُلوبَهُمْ مَقْفولٌ عَلَيْهَا، في حينْ أَنَّ المَعْنَى القَوْلِي الّذِي يُسْتَلْزَمُ من الحوار القُرْآني، هو هَلَاكِهِمْ بالعَذَابِ وسوء المَصِيرِ الّذي سَارُوا إلَيْهِ بعدَ عِنَادِهِمْ وَتَكَبُرِهِمْ عنْ سَمَاعِ واسْتيعَابِ كلمَةِ الحقِ.

2.2. قاعدة الكيف (الكيفية)

1. قال تعالى:" **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾{ البقرة: 11.}**

وردت الآيةُ في ذكرِ صفات المنافقين والدّالُ على ذلك أنّهُمْ "**إذّا قيل لهم: لا تُفْسِدُوا في الأَرْضِ قالوا إنَّمَا نحن مُصْلِحُونَ، إخْبَارٌ عنّ بَعْضِ عَجِيبِ أَحْوَالَهُمْ، في حين أنّ أَنْفُسُهُمْ مُفْسِدُونَ فَإِنَّ الّذي يَتَبَادَرُ إلَى الذِّهْنِ محل المَذَمَةِ هو أنهم يقولون إنما نحن مصلحون مع كونِّهِمْ مفسدينَ، ولكنْ عند التأَمُّلِ يظهَرُ هَذأ القَوْلُ قائلوه أجدرُ بالمذمةِ حين يقولونه في جواب من يقُول لهم لا تفسدُوا في الأرضِ فإنَّ هذّا الجوابُ الصادرِ من المُفْسِدِين لا يَنْشَأُ إلّا عنّ مَرَضِ القلبِ.**"[1]يتلخصُ جوهرُ هذا التفسيرُ لهاتِهِ الآيَة أنّهَا تحمل أَخْبَارٌ عَنْ عَجيبِ حالهِمْ حين عنّهُمْ الجواب بأَنهمْ مصلحُون، ساعتئذٍ أَنهم مفسدونَ في أَنْفُسِهِمْ، وفِي الأَرْضِ بشتَّى الطُرُقِ، فهذّا الكلام الّذي بَدَرَ منْهُمْ مَنْبَعُهُ فَسَادُ

[1]محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1ص283.

القلبِ." **وفي جوابهم إنّما نحن مصلِحون ما يُفيدُ أنَّ الّذين قالوا لهم لا تفْسِدُوا في الأَرْضِ كانوا جازمينَ بأَنّهُمْ مُفْسِدُونَ".**[1]

إنّ الّذي نهى المنافقين عن الافساد والفساد بقوله لا تفسدوا كان يجزم أنّهم مفسدون ويسْعَوْن لإفسَادِ النّاسِ من خلالِ اتباعِهِمْ للاقتداء بهم في أفْعَالِهِمْ وأقوَالِهِمِ في حين أنّ جوابهم كان بزعمهم أنّهم مصلحونَ ويَعْمَلونَ على الاصْلَاحِ والتعمير في الأرْضِ.

ففي الآية محاورة بيّن الملائكةِ والمنَافِقونَ فالملائكةُ تنهي هؤلاءِ المنافِقِين وتحُثُّهُمْ عنِّ الكَفِّ على الفَسَادِ، فجوابهم كانّ ناقصًا بشَكْلٍ كَبِير " إنّما نحن مَصْلِحُون".

فالمعنى الحرفي الّذي يُسْتَنْتَجُ هو أنّهم مصلحون بيّدَ أَنّ المدلُولَ والمُسْتلزم من الحوار أنّهم مفسدُونَ ويَضُرونَ غيّرهُمْ وأنّفسهم أيّ: يتصفُونَ بخاصِيَةِ الفسَادِ أَكثرْ من الاصلاحِ والاعمارِ، كمّا أنّهم يَسْتَهْزؤونَ بالكلام الّذي قيل لهُمْ.

2. قوله تعالى: **وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾{البقرة: 13.}**

[1] المرجع السابق، ص284.

نزلتْ الآيةُ في ذِكْر وبَيان صفاتِ المنافِقِين الّذينَ يَدَّعونَ الإيمانَ وهم به كافرون فجاءتْ لتبيّنَ صفاتهم" **أتى بما يُقابلُ جَفَاءَ طبْعِهِمْ انتصارَ المؤمنين، ولولا جفاءِ قولهم (أنؤمن كما آمن السفهاء) لما تصدى القرآن لسبابهمْ مع عادتهِ الاعْرَاضَ عنِ الجَاهِلِينَ ولكنّهُمْ كانوا يَضْرِبُونَ الْمقَلْ، ولأنّ مقامَ بيانِ الحقِ من الباطِلِ فتحسُنُ الصَرَاحةُ والصَرّامَةُ وأعلَنَ ذلك بكلمةِ ألّا المُؤَذِنَةُ بالتنبيهِ للخَبَرِ**".[1]

تبينُ الآية على ضوء التفسير للقرآنِ الكريمِ أنّها جاءت(الآية) نصرًا للمُؤْمِنينَ وعُلُوِّ شَأنِهم ورفع قدرهمْ بيّنَ النّاسِ والأمِم، هذا في مقابلِ جفاءِ قُلُوبِ المُنَافِقِينَ واسْتِمرارِ اعرَاضِهِمْ وعدمِ اعتبَارِهِمْ (العبرة) من الّذين سَبَقُوهُمْ، فكانت حِكْمَةُ الله أنْ تَصَدّى جلّ في علاه لِسَبِهِمْ ولِشَتْمِهِمْ المُسْتَمِرِّ للمُؤْمِنين، فهذّا ردًّا على جوابِهِمْ "**أنؤمنُ كما آمن السفهاء**، لأنَّ جوابَهُمْ نوعٌ من السُخْرِيَةِ والاسْتِهْزَاءِ والاحْتِقارِ للّذين اتبعُوا دينَ الله ودينه وصَدَقُوا رسولَهُ.

وقوله " **ولكن لا يعلمون**" **نفي عنهم العلم بكوْنِهِمْ سُفَهَاءُ ...لأنّ اتصافِهِمْ بالسفْهِ ليس من شَأنِهِ الخفاء حتى يكون العلم به شُعُورًا ويكون الجهْلُ به نفي شُعُورٍ بل هو وصفٌ ظاهرٍ لا يخفى، لأن لقاءهم كلّ فريق بوجهٍ واضطرابهم في الاعتمادِ على إحدى الحالتين وعدم ثباتهم على دينهم ثباتا كامِلًا على الإسلام.**[2]

وصفهم الله تعالى بالسفهاء والمقصُود منها الجهلاء وضعفاء الناس الّذين لا يؤمنون والسفه النافي للعلم وهذا النوع من الصفاتِ والميزاتِ لا تخفى أبدًا وهو وصفٌ ظاهرٌ

[1] المرجع السابق، ج1، ص288.

[2] المرجع نفسه، ص288.

وواضح للعيانِ لا يُمْكِنُ سِتْرَهُ، وهذا راجعٌ لإظهارهم عكس ما في باطنهم أيّ: يُظْهِرُونَ الايمان وهم لا يُؤمنُون.

يوجد في الآية آلية من آليات التحليل التداولي تكمن في الاستلزام، فالخطاب دار بين مجمُوعتينِ تدعُوا الأولى الثانية إلى الإيمان بالله وتوحيد ربوبيَّتِهِ.

قيل لهم آمنوا فجوابهم كان: **أنؤمن كما آمن السفهاء** هذا المعنى الأوّل حرفي والمعنى المستلزم من الحوار هو **انكارهم وتصديهم** عن الإيمان بمثابة **التعالي والتكبرِ** لأولئك الأشخاصِ المؤمنين الّذين اهتدوا إلى الدرب المنيرِ واتهامهم (المنافقين) من يتبع هذا الدين بالسفه.

3. قال تعالى:" **وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيًا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠{يونس: 90.}**

" **المعنى أنه لمّا أوجب دعاءهما أمر بني إسرائيل بالخروج من مصر في الوقت المعلوم ويسر لهم أسبابه، وفرعون كان غافلا عن ذلك، فلما سمع أنّهم خرجوا وعزموا على مفارقةِ مملكتهِ خرج في عقبهم**"[1]

عندما أمر الله تعالى القوم الّذين كانوا في مصر (بني إسرائيل) يدعوهم سرًا وعلانية للإيمان بالله واتباع هداه فكانوا لا يستجيبون، فطلب منهم الله الأمر بالخروج من ذلك

[1] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج17، ص160.

المكانِ، غير أنّ فرعون كان غافلا عنّهم ولم يَعْلَمْ بِأَمْرِ خُرُوجِهِمْ للوَهْلَةِ الأولى، فلّما وصله نبَأَ خروجهم وعزمهم على تَرْكِ بلادِ مصر، فتَبِعَهُمْ في طَرِيقِهِمْ، فلّما وصَلُوا للبحرِ شَقَّ الله لعِبَادِهِ المُخْلِصِينَ البحر لإنْقَاذِهِمْ من بطشِ فرعون، فسَارَ على الدربِ نفْسِهِ، ولكن حدَثَ مالم يَتَوَقعْ، إذ البحر عاد كما كان في أولهِ فأَهْلَكَهُمْ الله وَأَغْرَقَهُمْ فيهِ. " **وإنما كان اتبَاعَهُ إياهُمْ ظُلْما وعُدْوَانًا إذّ ليس له فيه شَائِبَة حق، لأن بنو إسرائيل أرادُوا مُفَارقَةَ بلادِ فرعون، وليس مفارقةً لهُ بلده مَحْظُورةٌ إنْ لم يَكُنْ لأحدٍ عليهِ حق في البقاء**".[1]

فيعود السبب الرئيس لخروج فرعون وراء قوم بني إسرائيل كان ظلما وتعسفا في حقهم، لأنهم أرادوا مفارَقَتِهِ (فرعون) حيث كان طاغِيًا وجبارًا مفْسِدًا في العبادِ والبلادِ.

فالمعنى العام للآيةِ أنهم أرادوا السير وَراءهُمْ وتقَفِي أَثَرَهمْ، والمعنى المستلزم من الحوار هو احاطتهِ بهم ومنعهم من السفَرِ فلَّمَا حق عليهِ العَذَابِ قال ءامنتُ أنّهُ لا إله إلّا الّذي ءامَنَتْ بنوا اسرَائيل فجواب كان إعطاء لمعلومة جديدةِ للمتلقِي لم تُكُنْ معرُوفةٍ ومجودة من قَبْلُ.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج11، ص274.

3.2: قاعدة الملائمة (المناسبة)

1. قال المولى تعالى: **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾{الأعراف: 12.}**

تشير الآيةُ إلى قصة أدم عليه السلام مع ابليس فبعد تكريم آدم عليه السلام وذكر عداوة ابليس له انتقلت الآية لتعطينا أسباب عدم تنفيذهِ للأمرِ الّذي وقع عليه (إبليس) "**وجملة ما منعك ألّا تسجد إذا امرأتك: ابتداء المحاورة، لأنّ ترك إبليس السُجُودَ لآدم بمنزلة الجوابِ عن قل الله (اسجدوا لآدم) فكان يتوجه إليهِ اسْتِفْسَارٌ عن سببِ تركِ السُجُودِ لأنّه مأْمور بالطاعةِ.**[1]

ابْتُدِأت الآيةُ من سورة الأعراف بمُحَاورَةِ إثْرَ تركِ وتَخَلِي ابليسَ السُجُودَ لآدم عليه السلام كما أمرَهُ الله عزّو جلّ، فكان بمكانةِ جوابٍ عن قولِ الله اسجدوا لآدم فهذا السؤالُ موجهٌ إلى ابليس واستفسارٌ عنّ تَكَبُّرِهِ للسجود للنبي عليه السلام، فَتَحَوّلَ المقام التخاطُبِي من مقامِ أمرٍ للملائِكةِ إلى مقامِ توبيخِ ابليس فهو المخصُوصِ بالذَمِّ والعتَابِ.

فالسؤالُ عن المانعِ من السجود جاءَ جوابهُ للتوْبِيخِ وابرازِ معَانَدَتِهِ لأنَّهُ يَعِدُّ نفسَهُ غير كلِّ المخلوقاتِ، لهذا تكبَّرَ ورَفَضَ السُجُودَ. قال ما منعك: للتوبيخِ، والمعنى هذا استفسار واستفهام عن سببِ اعراضه وتَكَبّره عن الإيمانِ، فكان جواب ابليس "**أنا خَيْرٌ مِنْهُ**" هذا هو جواب السؤال السابق ما منعك؟ أي: البحث عنّ الدافع الّذي جعلَهُ لا يَمْتَثِلُ لأَمْرِ

[1] المرجع السابق، ج8، ص99.

الله والبعْدِ عن الالْتِزَامِ به وتطبيقِهِ. والمعنى من هذا القول والكلامِ أنّهُ انكَر ورفض للأَمْرِ الّذي وجب عليه أنّ يطبقهُ، بدافع تعالي نفسهِ وغرورهِ وأنه هو أحسَنُ المخلوقَات لهذا استكبر.

والمعنى الحرفي من الحوار هو الرفضُ والانْكَارُ، إلَّا أن المعنى أو الدليل العامِ الّذي يُسْتَلْزمُ منه (الحوار) هو تكبره وعزة نفسه من السجودِ لأيٍ كان، وهذه معصيةٌ صرِيحة.

فهذا الجواب والمضمون ينخرط وفقا لمطابقةِ الكلامُ المقَامِ الّذي سيقت فيه، فالمقام هنّا يتطلبُ هكذا نوعٌ من الخطابِ.

2. نجد قوله تعالى في كتابه العزيز: **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾{النساء: 10.}**

جاءت الآية لتبيّن جملة من الأحكامِ الّتِي تُنظّمُ أحوال اليتامى ولِتُبَيِّنَ الحق من البَاطِلِ

فوردتْ على شاكلةِ تحذيرٍ " **الآية تُفِيدُ التحذيرَ من أكْلِ مالِ اليَتامى حرَّتْهُ مناسبةِ الغرض منه لِقِسْمَةِ الأمواتِ، لأنّ الورثَةَ يَكْثُرُ أنّ يَكُونَ فيهم يَتامى، فقلما يخلو ميت عن ورثة صغار، وهو مؤذن بشدّةِ عنايةِ الشارعِ بهذا الغرضِ، فلذلك عاد إليه بهذه المُنَاسَبةِ**"[1]

تبيّنُ الآية الآنفة الذكرِ تحذيرِ وحثٌّ عن الابتعاد عن مال اليتيم والتصرّفِ فيه بغيرِ حقٍ حتى يَبْلُغَ رُشْدَهُ ويشْتَدَّ عزمهُ، فمنْ خالَفَ هذا الحكمَ وأكلَ مالَهُ ورِزْقِهِ بُهْتانًا، فله عذاب شديد من عندِ الباري، فأعطى تشْبِيهًا لأَكْلِ مالِ اليَتيمِ وهم يملون بطُونَهُمْ بغير رزقِهِمْ

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص254.

وحلاِلِهِمْ، على أنّهم يأْكُلُونَ نارًا في داخلهمْ فكلّما اشتعلتْ واشْتَدَتْ تطلُبُ المزِيدَ، فحالهم كحالِ هاتهِ النارِ لا محَالة.

أو كما ذكر بن عاشور أنّهُ" **يجوز أنّ يكون اسم النارِ مستعارٌ للأَلَمِ بِمَعْنى أسْبَابُ الألَمِ فَيَكُون تَهْدِيد العذابِ الدُّنْيَوِي للتلَفِ لأنَّ شَأْنَ النارِ أنْ تُلْتَهِمَ ما تُصِيبُهُ والمعنى إنّما يَأخذون أَموالًا: هي سببٌ في مَصَائِبِ تَعْتَرِيهِمْ فِي ذَوَاتِهِمْ وَأَموَالِهِمْ كالنارِ إذْ تَدْنوا من أَحَدٍ فَتُؤْلِمَهُ وَتُتْلِفَ مَتَاعًا.**[1]

نلحظُ من خلالِ هذا التفسيرِ أنّ كَلِمة أو اسم النارِ وردتْ وذُكرَتْ هُنّا على سبِيلِ الاسْتِعَارَةِ للدلالَةِ على شيءٍ محْسُوسٍ يَتَمَثَّلُ في الأَلَمِ الّذي يَصِيبُ كلّ شَخْص منها (النار)، فهكذا حالُ آكِلِ مالِ اليَتِيمِ من غيرِ تَشْرِيعٍ وبِغَيْرِ حقٍ، فينتظرُهُ عَذَابًا شَديدًا في الدنيا والآخِرَةِ، فصَوّرَ لنا العَذابَ بشيء ملْمُوسٍ بسُرْعَةِ انقضَائه وشِدّةِ تلَفِهِ وزوالِهِ كَأَنّهُ لمْ يَكُنْ من قَبْلُ ولا من بَعْدُ.

فالمعنى الّذي يُسْتَلْزَمُ هنّا هو وقوع العذابِ والحساب على الأشخَاصِ الّذين يأكُلُونَ أموالَ اليَتَامى ولا يُحَافِظُونَ عليها، فالمقام يتطلّبُ هذَا النوع لأنه مقامُ رصْدِ وبيانٍ للأحكامِ والتَشْرِيعاتِ الّتي تُنَظِّمُ وتضبطُ الحياة الاجتماعية بين الناس، والمعنى غير المباشرِ هو النهي وتحريمِ أكْلِ أرْزَاقِ الأطفالِ اليتامى، لهذا لابد أنّ يُطَابق الكلامُ المقامَ الّذي يُسَاقُ فيه الخطاب القرآني.

[1] المرجع السابق، ص254.

3. قال جلّ جلاله: **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾{البقرة: 67.}** ترتبط الآيةُ السابعة والستين من سورة البقرة ارتباطا وثيقا بما قبلها في حسنِ نظمها وتأليفها، مع الآياتِ الّتي ورد الذكر فيها والإشارة إلى جرَائِمِ اليَهودِ (فجعلنا نكالا لما بين يديها وما خلفها) والمقصود بها " **واذكروا أيّها اليهود وقت قولِ موسى لقومه: إنّ الله يَأمرُكُمْ أنّ تذبحوا بقرة، فلم يمتثلوا وشَدَّدُوا، فشدّد الله عليهم وقالوا: أتهزأ بنا يا موسى نسألُك عن أمرِ القتلِ، فتأمرُنا بذبحِ بقرةٍ، فقال أَلْتَجِيء إلى الله من الهزء والسخريةِ بالناس في موضعِ الجدِّ.**"[1]

لما أتى كليمُ الرحمان (موسى عليه السلام) بأمرٍ من الله عزّ وجلّ لليهودِ يَحُثُّهُمْ ويأمرُهُمْ بأنّ يَذْبَحوا بقرةً، فهنّا اختلف العلماء المفسرون لهاتهِ الآيةِ حول أنْ تكون بقرة مخصوصة بالذكرِ أو لا أي: ذبحِ بقرة أي كانت ووجدت.

فكان ردّ اليهود على هذا الكلام أنّ كَذّبوهُ ولم يَمْتَثِلوا لهذا الأمرِ والطلبِ، لأنّهم اعتبرُوهُ (النبي موسى عليه السلام) يَسْتَهْزِئُ بهم ويَسْخَرُ منهم، لأنّ الوضع الّذي سيقت فيها هذا الأمر حتّم عليهم (اليهود) أنّ يُفَنّدوا كلامه، فاليهود بدورهم كانوا يُرَكِزُونَ وَيَصُبُّونَ معظم اهتمامهم على الاستفسارِ عنّ أمْرِ القتْل لا غير.

فلّما سمعوا ما بدر منه (النبي) من كلام اعتبروه يَسْخَرُ منهم، فاليهود في حالة استغراب وتعجب من ذلك الفعل الّذي قام به (موسى عليه السلام) فلّما رأى النبي منهم هذّا الردّ

[1] وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير، ج1، ص205.

سلّم أمره لخالقه لأنّه هو في موضعِ الجدّ فالمقام هنا مقام تبليغ لرسالة ربانية، لا ينفع فيها ولا يسمح السخرية والاستهزاء.

" **هكذا ذكرت القصةُ بإجمالِ أضَاعَ المقصود رأيهم الغرض من الذبحِ، أهو إضاعة ذلك الدم باطلا، أم هو عند تعرضِ معرِفَةِ المتَهَمِ بالقتْلِ، وكيف ما كان فهذه بقرة مشروعة عند كل قتل نفس جُهِلَ قاتِلَها، ثمّ كان ما حدثَ من قتل القتيلِ الّذي قتله أبناء عمه وجاؤوا مُظْهِرِينَ المُطَالَبَةِ بدمّه، وكانت تلك النازلة نزلت في يوم ذبْحِ البقرةِ، فأمرهم الله يَضْرِبُوا القتيل ببعضِ تلك البقرةِ الّتي من شأنها أنّ تُذْبَحَ عند جهل قاتِلِ النفس**" [1]

جاءت الآيةُ لتَوضِّحَ الغرضَ من الذبحِ ويتمثّلُ في التشريع فكلّما جُهِلَ قاتِلُ النفسِ شُرِعَ لهم ذبح بقرة، إلّا أنّ في هذه القصة هو النبّي موسى عليه السلام لم يقتل نفسًا بغير حق، إنّما من فعل هذه الفعلةَ هم أبْناءُ عمومتِهِ (القتيل) وادْعَوا أنّهم مُهْتَمينَ لأمْرِ دمهِ، وجاؤوا يطالبون حقهُ.

فأوحى الله تبارك وتعالى إلى كليمه (موسى عليه السلام) أنّ يَذْبَحوا بقرة ويضربوا القتيل ببعض أجزائها.

ففي قوله: **أتتخذنا هزوا**" استفهام خرج للتعجب، فكان الرد عليهم أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين (موسى عليه السلام) ومعنى القولُ إنّ اليهود ظنُّوا السوء بالنبّي موسى عليه السلام على أنّه يقللُ من قيمتهم بهذا الجواب.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص547.

فالمقام الخطابي الّذي سيقت فيه الآيةُ لا يَسْمح بإدراجِ عبارات المزحِ والاسْتِهْزاءِ، فالمقام مقام تبليغٍ لرسالة سماويّةٍ، تتضمّنُ هذه الرّسَالَةُ مجموعة من أحكامِ الله فالمزح لا يليقُ في الخطابَةِ، كما أنّه لا يَليقُ بأنّ يَصْدُرَ عن رسُولٍ من الرُّسُلِ وخاصة إذا كان هذا الرسولُ هو كليم الرحمان. فالمستلزم غير المباشر من هذا الحوار هو نفي الاستهزاء بهم.

4.2: قاعدة الطريقة (الجهة).

1. قال الله تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾{البقرة: 30.}

جاءت هذه الآية للدلالةِ على اسْتِخْلَافِ الإنسانِ في الأرْضِ وتعلِيمهِ اللغاتِ "**هذه القصةُ أو المُحَاوَرَةُ بيّنَ الله وملائِكَتْهِ نوع من التمثِيلِ بإبرازِ المعانِي بالصُورِ المحسوسةِ تقْرِيبًا للإفْهَامِ، وفيها بيانُ مدى تكريم الله للإنسَانِ باختِيَارِ آدم في الأرضِ وتعليمِهِ اللُّغات الّتي لا تعْلمُها إلّا الملائِكَةِ.**[1]

تشِيرُ الآيةُ الكريمة إلى محاورة دارت مجرياتُها بين الله عزّ وجلّ والملائكةِ وذلك لإبراز وتوضيح المعاني بالمحسُوسات دون المجرداتِ بغية تقريبِ وتسْهِيلِ الفَهْمِ للمُتَلَقِين، فهو

[1] وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير، ج1، ص135.

خطابٌ للملائِكَةِ بتَشْرِيفِ آدم عليه السلام لهذه المنزلَةِ العظيمةِ لكي يكون خليفةً في الأرضِ، علاوة على هذا تعليمهِ اللّغاتِ والأسْمَاءِ الّتي لا تعلمُها الملائِكَةُ.

قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء "**هذا جوابٌ للملائكة عن قول الله لهم إنّي جاعلُ في الأرضِ خليفة فالاستفهام المحكي عن كلام الملائِكَةِ محمُولٌ على حقِيقَتِهِ مَضَمِن معنى التعجُبِ والاسْتِبْعَادِ دليل على أنهم علموا مراد الله من خلفِ الأرْضِ هو صَلَاحُهَا وانتِظَامِ أَمْرِهَا.**"[1]نلمحُ هنا جواب الملائكةِ الكلام الّذي سمعوه من عند الله فكان ردّهمْ عليهِ بصيغَةِ التعجبِ فالمراد من جَعْلِ خلق على الأرضِ من أجلِ اصْلَاحِها وانتظامها هذا كان دليل وبرهان على المقصُودُ من خلافةِ الأرْضِ.

والمعنى من القول أنّ الملائكة استفسروا وتعجبوا من استخلاف أهل الطاعَةِ والدينِ بِأُناسٍ مُفْسِدِين وعاصِين لله عزّ وجلّ، والمعنى المستلزم من هذا الحوار يَعْلمونَ مُرَادَ الله من خلْقِ الأرضِ وعلِموا حقيقَةِ الخِلَافَةِ. وهذا الصنف يندرج في التحليل التداولي ضمن قاعدة الجهة الّتي من شروطها البعد عن اللّبْسِ والغموض أثناءَ الحديثِ.

2. ونجد في قوله:"**قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠**﴿العنكبوت: 20.﴾تحكي لنا الآية قصة أبوا الأنْبِيَاءِ إبراهيم عليه السلام مع قومه لإظهَارِ لهم الدلائِلَ والبراهين على وحدانية الله ووجُودِهِ اعادَةِ البعْثِ

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، 403.

ومعناها" **قلّ يا محمد سيرُوا يا أيّها المُنْكِرُونَ للبِعْثِ في الأرْضِ، وانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ خلْقَ السَمَاوَاتِ وما فيها من الكواكِبِ النَيِّرَةِ والأرضِ وما فيها من جبالٍ ومهادٍ، كلّ ذلك دال على حَدُوثِهَا في أنْفُسِها، وعلى وُجُودِ صَانِعِها الفاعِلُ المُخْتَارُ هذا هو المنْفَرِدُ بالخلْقِ، وذلك دليل على وجوده، ومن قَدَرَ على الخَلْقِ قَدَرَ على الاعادةِ والانْشَاءِ النَشْأَةِ الآخِرَةُ يوم القيامةِ فإنّ الله قَدِيرٌ على كُلّ شيءٍ.**"[1]

بعد انكار قوم إبراهيم عليه السلام وعدم انصياعهِمْ للرِسَالَةِ السَمَاوُيَةِ الّتي جاء بها، من عند الله تعالى وبيّنَ له وأَيَّدَهُ بمجموعةِ من الحججِ القاطعةِ والبراهينِ الثَابِتَةِ والقويَةِ الّتي يَسْتَدِلُ بها على عند دعْوَتِهِ لهم(قومه) للإيمان فمن بَيْنِ الحُجَجِ حُجَةُ والدلِيلُ على وجُودِ الله تعالى وعظَمَتِهِ من خلالِ التَدَبُّرِ والتَأَمُلِ في المَخْلُوقاتِ من جِبَالٍ وأشْجَارٍ وسماء ونجوم...إلخ، زِيَادَةً على ذلك قُدْرَتِهِ على الإحْيَاءِ واعادَةِ البَعْثِ من جَدِيدٍ، بعد الزوالِ والفناءِ لَعَلَّهُمْ يَرْتَدُّوا على ما هُمْ عليه، فاحْتُجَ عليهِ بأنّ الإعادة مثلُ الابْدَاءِ.

" **وإنّما أمَرَ بالسَيْرِ في الأرضِ لأنَّ السَيْرَ يدَنِي إلى الرائي مُشَاهَدَاتٍ جَمّة من مَخْتَلَفِ الأَرْضِ، فالسَيْرُ وسِيلَةٌ جامعةٌ لمختلفُ الدلائِلِ كانَ الأمْرُ به لهذا الغرَضِ من جَوَامِعِ الحِكْمَةِ ولذلك أَعْقَبَ بجملة ثُمَّ الله يُنْشيء النَشأَةَ الآخرَةُ فهي جملةٌ مُسْتَقِلَةٌ وجملة إنّ الله على كلِّ شيء قدير، تَذْيِيلٌ أي: قَدِيرٌ على البِعْثِ وعلى كلّ شيءٍ إذا أَرَادُوه، واظْهَارُ اسم الجلالَةِ لِتكونَ جُمْلَةُ التَذْيِيلِ مسْتَقِلَةٌ بِنَفْسِها فَتَجِري مجرَى الأمْثَالِ.**"[2]افتتحت الآية بفعل أمر موجه للنبي صلى الله عليه وسلم "**قل سيروا**"

[1] وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير، ج20، ص،ص، 586، 587.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج20، ص231.

والسَيْرُ في بقاعِ الأرضِ يُمْكِنُهُمْ من التَأَمُّلِ والتَرَيُّثِ في التَدّبُرِ في خَلْقِ الله عزّ وجلّ واسْتُخْدِمَ في هذه الآيةِ (السير) كَوسِيلةٍ لاسْتِحْضَار الدَلَائلِ المُخْتَلِفَةِ، فهذا الأمْرُ جاء بِحِكْمَةٍ إلاهيّةٍ فالله هو القَادِرُ المُقْتَدِرُ على البعثِ واعادَةِ الرُوحِ في كُلّ شيءٍ، فالإظهارُ بلفظ الجلالة يُقْصَدُ منه بَيّانُ عظَمة الاعادَةِ والبِعْثَ من جديدٍ. والسببِ الرئيس من سرْدِ القصصِ القُرْآني لخاتمِ الأنْبِيَاءِ والمرسَلِينَ هدفه اتِخَاذِ العِبْرَةِ والموْعِظَةِ الحسنَةِ من الأقْوامِ والأنبياء الّذين سلفوه.

تُوَضِحُ الآيةُ محور من محاوِرِ الاستلزام القاعدة من قواعده هي قاعدة الطريقة أو الجهةِ الّتي من أهَمِ شُرُوطِها ودَعَائِمِها الأسَاسِيَةِ البُعْدِ الغُمُوضِ واللُبْسِ والابْهَامِ في الكلامِ والخطابِ بَيّنَ المُرْسِلِ والمُسْتَقْبِلْ للرْسَالَةِ.

من هذا المُنْطَلَقِ يُمْكِنُ القَوْلُ: إنّ المسْتَلْزَمُ من الآيةِ الكريمةِ والحوارِ الّذي دَارَ بيّنَ الّنبي إبراهيم عليه وقومه حين دعاهم إلى توحيدِ الله والتخَلّي عن أَصْنَامِهِمْ وَمُقَدَسَاتِهِمْ هو أنّهُمْ كانوا يَعْبُدونَ ويوحدونَ دينا غير دين الحقِ، والمستلزم غير المباشِرْ من الآيةِ الّذي يلمح إلَيْهِ السِيَاقِ العَظَمَةِ الالهية في اعادة البعثِ والانشَاءِ من جديدٍ بعدَ النَشْأَةِ الأولى والدعْوَةُ بِتَفَرُّدِ الله في عُبُودِيَتَهِ.

3. قال تعالى: **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾{العنكبوت:24.}**

هذه الآية الكريمة نوع من السرد القصصي الّذي ورد في القرآن الكريم الّذي يعطينا نموذج من قصص الأنبياء مع أقوامهم.

" بعد أنّ قام إبراهيم عليه السلام لقوْمِهِ الأَدِلَةُ والبَرَاهِين على تَوْحِيدِ الله والرِسَالَةِ والبعثِ أو الحَشْرِ، وأَمَرَهُمْ بعِبَادَةِ الله تعالى، وَنَدَدَ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ فلم يَجِدُوا جوابًا على كُفْرِهِمْ وعنادِهِمْ ومُكَابَرتِهِمْ إلّا اللُجُوءَ إلى اسْتِعْمالِ القوةِ، وهذا ماحكاهُ الله عنهم، أي لم يَجِدْ قَوْمَ إبراهيم جواب له على مُطَالَبَتِهِمْ بِعِبَادَةِ الله واتِقَاءِ عَذابِهِ"[1]

اسْتَدَلَّ أبوا الأنبياء على قومِه بالحُجَّةِ الدالَةِ والاثْبَاتِ اليَقِينِ في دَعْوَتِهِ للعزوف والبُعْدِ عن الآلِهَةِ الّتي يَعْبَدُونَها، فهي لا تسْمعُ الداعي ولا تُجيبُ ولا تنْفَعُ ولا تَضُرُ في حينَ وَصَلَهُمْ النَبَأُ اليَقينِ والصحيحِ عَجَزوا عن المُقَابَلَةِ، فما كان سبيلهم الوحيدِ لاسْتِمْرَارِهِمْ في النُكْرَانِ والتكْذيبِ. فكان سبيلهم الوحيد إلّا أنّ يَسْتعينوا بعامِلِ القُوّةِ والجبروتِ حتى تعلوا كلمتهم فوق كلمة النبي عليه الصلاة والسلام حيث أُمِرُوا بإشعالِ النار وإلقاءِ النبي فيها هذا هو جوابهم ورَدّهم على دعْوةِ ورسالةِ النبّي عليه السلام الّتي أراد تبليغَها.

وجيء بصيغَةِ حَصرِ الجوابِ في قولِهِمْ: اقتلوهُ أو حرِّقُوهُ " **للدلالَةِ على أنّهم لم يَرْتَدُوا وفي جوابِهِ وكانت كَلِمَتَهُمْ واحِدَةً في تَكْذِيبِهِ، والاشَارَةُ بذلك إلى الانجاءِ المأخُوذِ فَأَنْجَاهُ الله من النارِ، وجيءَ بِلَفْظِ قوْمٍ يُؤْمِنُونَ ليَدّلَ على أنّ ايمانَهَمْ مُتَمَكِنٌ منهم، ومن مقوماتِ قَوْمِهِمْ، وفي قوْلِهِ لِقَوْمٍ يُؤْمنُونَ: تَعْرِيضٌ بأنَّ تلك الآياتِ لم يَصَدِقْ بها قَوْمُ إبراهيم لشِدَّةِ مُكَابَرَتِهِمْ.**"[2]

كان جواب قوم إبراهيم عليه السلام ورَدِّهِمْ على الكلامِ الّذي سَمِعُوهُ رَدًا بْصِيغَةِ الحصْرْ دَلَالَةً على أنّ قُلُوبَهمْ لَنّ تَلِينَ أبَدًا وأبْصَرَهُمْ لن تُنِيرَ فَأَنْجَاهُ الله من هؤلاء القَوْمِ الظَالِمينَ

[1] وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير، ج20، ص594.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج20، ص235.

الّذين أرادُوا به سُوءً، فالنارُ كانت بَرْدًا وسَلَامًا على إبراهيم عليه السلام وَدَلالَةُ لَفْظَةِ لقومٍ يُؤْمِنُونَ لأنّ ايمانهمْ كان قَوِيَ التَأثِيرِ في دَاخِلِهِم.

ولهذا جاءتْ اللَفْظَةُ للإشَارَةِ على شِدَّةِ تَكَبُرِهِمْ وتعالي أنفسهم.

والمُلَاحَظُ في الآيةِ أنّ هناك رابِطًا بين الآيةِ ومحور الاسْتِلْزامِ الحواري وهي قاعدةُ الطريقة الّتي يَجِبُ الابْتعَادُ قدْرَ الإمْكَانِ عن الغُمُوضِ وَمُخَاطَبَةُ المتلقِي حَسْبَ قُدُرَاتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ الذِهْنيَةِ حتى يَكون التواصُلُ نَاجِحًا، فالمسْتَلزم بطرِيقَةٍ غيرُ مُبَاشَرَةٍ من هذا الخِطَابِ والمحاورَةِ بِشَكِلٍ عامٍ والّتي دارتْ مُجرياتها بين النبّي عليه السلام وقوْمِهِ هو كَثْرَةُ عِنَادِهِمْ واسْتِمْرَارِهم في الكفْرِ فكان جوابهم ورَدّهمْ الّذي اسْتُلْزِمَ منه عبارة" اقتلوه أو حرّقوه" الاجابة الكافِيَةُ والشَافِيَةُ عنْ رِسَالَةِ النبّي إبراهيم عليه السلام فجَاءَ جَوابَهُمْ بِطَرِيقَةِ الايجازِ في حين كان من المفترضْ أن تكونَ الاطَالَةُ والاسْهَابُ في الكلامِ.

4. قال المولى:**وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾{البقرة260.}**

"ونفذّ إبراهيم الخطة ولم يعين الله تعالى الأربَعةِ من أيّ جنْس هي من الطير، فكان إبراهيم عليه السلام مُحِبّا للاسْتِطْلَاعِ، فَلّما أَوْحى الله تعالى إليه ليحيي الموتى ويَحْشُرَهُمْ يوم القيامة، ليُجَزِي المُحْسِنَ بإحِسَانِهِ والمسيءَ بإسَاءتِهِ فَأحَبَ أنّ يَرى مَيّتًا عاد حَيًّا، فسَأَلَ الله عن ذلك لِيَطْمَئِنَ قلبَهُ، فَأَمَرَهُ الله تعالى أنّ يَأخُذَ أربعة طيورٍ فيَذْبَحَها ويُفَرِقَ أَجْزَائها على الجبالِ، ثمّ يَدْعُها إليهِ، وحينئذٍ يرى كيف يَعُودُ الميّتُ حيًّا، ففعَلَ ودعَا الطُيُورَ إلَيْهِ، فجاءتْ صحيحة، كأنّها لم تَمُتْ أصِلًا.[1]

طلب النبي عليه السلام من المولى تبارك وتعالى أنّ يُبَصّرَهُ كيفَ يُحْيَي الموتى ويُعِيدَ نَشْأَتَها بعدما كانت هامِدَةً وبلا رُوح، وجاء هذا السُؤَالُ ليس من بابِ التَشْكِيكِ في قُدرَةِ الله بل ليطمِئِن قلبَهُ وَيَرْتاحَ بالَهُ، وهذا هو دلِيلٌ على حبِّ الاسْتِطْلَاعِ والاسْتِكْشَافِ فأرْشَدَهُ الله لِيُجَسّدَ له ما هو محسُوس بما هو ملموس ويرى كلّ شَيْءٍ أمامهُ، واجابَةُ النبّي في قولِهِ: ولكنّ ليطمئنَّ قلبي: ايجابٌ بعد النفي بمعنى آمنْتُ.

إنّ المعنى المباشرْ الّذي يَتِضّحُ منها (الآية) هو أنّ النبّي إبراهيم عليه السلام عند طلبه هذا يُشَكِكُ في القُدْرَةِ الإلهية، في حين أنّ المعنى المستلزم غير المباشِرِ اتَضَحَ هو أنّ النبّيَ كان مقْصوده أنّ يطمئِنَّ فؤاده ويهْنَأ خاطرهُ خاصةً بعدما أثْبَتَ للقومِ على وُجودِ الله بالحُجَّةِ القَوِيَّةِ، فهناك فعل محذوف مقدرْ في قوله ليطمئن قلبي: والصواب أنّ يُقَالَ له سأَلْتُكَ ليطمئن قلبي، فهذه الآية فيها إشارة لقاعدة المسْتلْزماتِ الحواريةِ وهي قاعدةُ الطريقة.

[1] وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير، ج3، ص42.

المبحث الثالث: تطبيق أفعال الكلام وأهم دلالتها في محكم التنزيل.

1.3: أفعال الأحكام والقراراتِ.

1قال تبارك وتعالى:﴿ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨٣﴾{البقرة 283.}

تشير الآية إلى مجموعةٍ من الأحكام" **فجميع ما تقدّم في الحضْرِ والمكنّةِ فإنْ كانوا على سفر ولم يتمكّنوا من الكِتابة لعدم وجود من يَكتب ويشهد، فقد شرّعَ لهم حكمٌ آخر وهو الرهن، وهذا هو أخر الأقسام المتوقعةِ في صور المعاملةِ، وهي حالة السفَرِ غالِبًا ومعنى الرهن أنّ يجعل شيْء متاع المدين بِيَدِ الدائِنِ تُوَثِقهُ له في دينه**".[1]

هذه الآية جاءت موصولة ومتممةً للآيةِ الّتي سبقَتها " إذا تداينتم" فهذا وجه من وجوه الأحكام والتشْرِيعاتِ الّتي سَنّنها الله لعباده المؤمِنين في معاملاتِهم المالية والتجاريّة، فهذا الحُكْمُ يَتَعَلّقُ ويَخُصُ الفئة الّتي تكون في السفَرِ الطويلِ حين لا يَسْتَطيعون تَوثيق الكتابة وذلك بعامل غيابِ شَاهدٍ أو كاتِبٍ يكْتُبْ من دون مرَاسيم المعاملاتِ. لهذا نجد الآية تقوم على فعل كلامي ينبني عليه هذا الخطاب الديني وهو الفعل تجدوا فعل اسنادي وفعل احالي يشار إليه بضمير أنتم أي الأشخاص الّذين يُزاولون الأعمال التجارية باختلاف أنواعها.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص120.

والمستلزم المنطقي من الآية هو تقديم واصدار أحكام تتمثل في حكم يساعد ويسهل في المعاملات بين الناس وهوحُكم احلالِ الرهان في التجارة بين القائمين والعاملين في هذا المجال والقوة الإنجازية هي تشريع الأحكام الّتي تنظم هذه التعاملات.

2. قال الله تعالى:**قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١** **{الأنعام: 151.}**

تبيّن الآية الكريمة من سورة الأنعام جملة من التشريعاتِ والأحكام الّذي تضبِطُ الحياة الاجتماعية والإنسانية، فالآية تشمل على" **اسْتئناف ابتدائي للانْتِقال من ابطال تحريم ما ادعوا تحريمه من لحوم الأنعامِ إلى دعوتِهم لمعرِفَةِ المُحَرّماتِ، الّتي عِلْمها حقٌ وهو أحقٌ بأنّ يعلموه مما اختلفوا من افْتِرَائِهِمْ وموّهوا بحد لهم، والمناسَبَةِ لهذا الانتقال ظاهرة فالمقامِ مقامُ تعلِيمٍ وإرشادِ.**[1]"

انتقلت الآية من ابطالِ حُكْمِ التحريمِ الّذي ادّعى المشْرِكون تحرِيمهُ من لحوم الأنعام، لينتقِل بعدها لدَعْوَتِهِمْ وبيانا لهم ماهي هذه المحرّماتِ.

وهذا مطابقة للمقامِ الّذي صِيغتْ فيه هذه الآية فهنّا المقام يَقْتَضِي التوجيه والتَعْليمِ والإرْشَادِ إلى الطرِيقِ والسُبُلِ الناجِحَةِ وبيّانِ أوجه الحقِ.

[1] المرجع السابق، ج8 ص120.

فاستهلت الآية بفعل القول اسْتَرْعاءِ فكان بداية الخِطابِ بأمرٍ من الرسول عليه الصلاة والسلام، ثمّ عُقِبَ بفعل أمرٍ تعالوا بصيغة الجمعِ (الأشخاص الموجه إليهم الخطاب المشْركين) خدْمةً للغَرَضِ المُنتَقلِ إليه.

وفي الآية كذلك جملة من الأحكام مقسّمة على ثلاثةِ أقْسامٍ رئِيسِيَة تتجلّى في النقاط التالية:

1. أن لا تُشْرِكوا به شيْئا: حكم بإصلاح الأحوالِ الاجتماعية.

2. ولا تقْرَبُوا مال اليتيم: حكم التعامل مع الناسِ.

3. وأنّ هذا صراطي مسْتقيما فاتبعوه: حكم لاتباع طريقِ الإسْلَامِ.[1]

نلمح في الآيةِ فعل كلامي قل فعل أمر اسنادي وفعل إحالي إحالة إلى النبي المختار عليه السلام.

فالفعل الدلالي مُوَجّه إلى المشركين الّذين حَرّموا على أنفسِهم أكْلَ لحومِ الأنعامِ الّتي أحلّها الله وقوّته الانجازية الإعراضِ عن اتباعِ الدين الحقِ.

وهذه الأفعال وردت بصيغَةِ النهي: بل تشْرِكوا لا تقربوا ...إلخ وبعضُها بالأمرِ المباشِر المصرّحِ به علانيًا، والمسْتلزم المنطقي من الخطاب هو النهي عن اتباعِ وتطبيقِ هذه الأعمال واجتنابها والحكم يمّسُ أضْدادِ هذه الأفعال والأعمال وهي تحْريم عقوق الوالدين والاساءة إليهما، عدم انقاصِ الكيلِ والميزانِ وعدمِ الشرْك بالله ...إلخ

[1] ينظر: المرجع السابق، ص، ص 156،157

وفي قوله عزّ وجلّ:" وبالوالدين إحْسَانا" أي" **أحسنوا بالوالدين إحْسَانا، وهو أمر بالإحِسَانِ إليهما.**"[1]

أي لزوم طاعَةِ الوالدين والبّر بهما وخدمتها، وفي الآية فعل كلامي فعل أمر محذوف إحسانا مفعول به لفعلٍ محذوف وجوبا تقديره آمنوا يتأسس عليه الخطاب فعل إسنادي آمنوا والفعل الدلالي هو طاعة الوالدين والمعنى المسْتلزم يدور في دائرة اجتنابِ الإساءةِ إليهما والبرّ بهما، وهو فعلٌ صريحٌ، وفيه فعل غيرِ مباشرِ بمعنى عدمِ الإسَاءةِ.

وفي الآية حُكم يَتَضَمّنُ تحريم الإساءَةِ باختلاف أنواعها فهذه الآية بَيّنت ووضّحتْ جملة من الأحكام لتسْهيلِ المعاملاتِ بيّن أطرافِ المجتمعاتِ.

3. قال تعالى :"**وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ٨٩**{النساء: 89.}

تشيرُ الآية إلى" **بيانِ لغلوْهم وتماديهم في الكفرِ وتَصَدّيهم لإضْلَالِ غيرهم إثْرَ بيانِ كفرهم وضلالَتِهم في أنْفُسِهمْ.**"[2]توَضح الآية وفقا لتفسير روح المعاني بيانِ شدّةِ غلوّ وكذب المنافقين الّذين صدّوا عن الهجرة للقتالِ في سبيل الله تعالى وافْترائهم وتماديهم في الطغيانِ والكفْرِ والجهْلِ لدرَجَةٍ كبيرةٍ تجاوزت الحدّ الأدنى للمعقول.

[1] المرجع السابق، ص157.

[2] أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار احياء التراثِ العربي، د ط، بيروت، لبنان، د ت، ج5، ص108.

ويشير الضمير ودووا إلى المنافقين الذين يدعّون ما عكس ما يُبْطنون في داخلهم.

" **والأظهر أنّ ضمير ودّووا عائِد إلى المنافقين فضح الله هذا الفريقِ فأعلم المسْلمين بأنهم مضْمرون الكفْر، وأنّهم يحاولون ردّ من يَسْتَطيعون ردّه من المسْلِمين للكُفْرِ.**"[1]

فهؤلاء المنافقون يُظْهِرُونَ عكس ما يُخفونه من أعمالٍ ونوايا كامنة في القلوبِ والصُدورِ، فهم إذا ذهبوا إلى المُسْلمين يقولون (المنافقون) إننا معكم ويُوحِدون الدين الإسلامي ويَدّعوا تطبيق شرائعه وفرائضه، وإذا خلوّا إلى الكفار يقولون الشيء ذاته، أي: يكفرون بالعقيدةِ الإسْلاميةِ.

فالله عزّ وجلّ نبّأ المسلمون بأحوالِ هؤلاء الكفرةِ المنافقين وكشْفِ أمرهم ونواياهم السيئة اتجاههم أي اتجاه المسلمين وهذا بحكمة ربانيّة يعلمها علّامُ الغيوب سبحانه.

فالفعل الكلامي الّذي تقوم عليه الآية "**ودّووا**" أمّا بخصوصِ الفعل الدلالي المحتوى القضوي يتمثّلُ في صدّ المنافقين عن سبيلِ الحقِ والدين الحنيفِ قَدْرَ ما اسْتَطاعوا للمسلمين ومحاولةِ تضليلِهم والمستلزم المنطقي هو القتلِ.

أمّا فيما يَخصّ القوة الانجازيّة لهذا الفعل هو الإعراضُ والانكار لهذا شُرّع في إليه حكم بقتلِ المنافقين.

4. قال سبحانه وتعالى: **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم.{النساء: 23.}**

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص151.

ذكرت الآية مجموعة من الأحْكامِ التي شُرّعت لكافةِ المؤمنين والمسلمين لاجتنابِ فِعْلِها" **ليس المراد تحريم ذاتهنّ لأنّ الحُرْمَةَ وأخواتِها إنّما تتعَلّقُ بأفعالِ المكلّفين، والمراد تحريم نكاحهنّ لأنّه معظم ما يقْصِدهنّ ولأنه المتبادر إلى الفهمِ، ولأنّ ما قبله وما بعده في النكاحِ.**"[1]

الظاهر من الوهلةِ الأولى أنّ المقصُود من حرّمت أي تحريم رُؤْيَتُهن وإنّما مضمونها تحريم الدخولِ بهنّ والجمعِ بينهن في الزواجِ، فهذا هو الشيء المخْصُوصِ بالتحريمِ حيث شُرّعَ لكافة الناسِ جميعا.

"**فالمراد من تحرِيمِ الفِعْلِ المطلوبِ منها في العُرْفِ حرّمت عليكم أمهاتكم**" **يقتضي أنّه قد حرّم جميع أمهاتكم وجميع بناتكم** "[2]

حرّم الله جميع الأمهاتِ على الأولادِ وذكرها بصيغة الجمعِ حيثُ تحْرُمُ على كلّ واحدٍ هذه الأشْياء التي ذُكِرَتْ، ويعود السبب في ذلك التحريمِ إلى التشْريفِ والتكريمِ من عند الله عزّ وجلّ فهذا تحْرِيم مقرر من عند الله. وحسب ما ورد في التحرير والتنوير موضِحًا سبب التحريم في قولهِ" **تحريم هؤلاء حِكْمتهُ تسهيلِ الخلطةِ وقطعِ الغيرةِ، بين قريبِ القرابةِ حتى لا تُفْضِي إلى حُزازاتِ وعداواتٍ.**[3]

فالحكمة من هذا التشْرِيعِ الرباني تَفاديًا لِشحْنِ العداوة والبغْضاءِ بين الأهالي وذوي القُرْبى. فالفعل الماضي المبني للمجهول أدى نفس العمل الذي يؤديه الفعل الصريح في هذا التحريم الّذي وجهه الله تعالى لعباده وخصّهم به.

[1] الألوسي، روح المعاني، ج4، ص249.

[2] محمد فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج10، ص 27،28.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص 298.

في هذه الآية فعل كلامي يدور حوله هذا الخطاب "حُرِّمَتْ" فعل إسْنادي وفعل إحالي دلالة على المؤمنين (أنتم) ضمير مسْتترٍ.

وفعل دلالي قضوي يَتَمَثّلُ في ذكرِ الأشْياء والأحْكام الّتي حَرّمها الله تعالى، فالمسْتلزم من هذا الخطاب هو تحْرِيمٌ على كلّ شخصٍ الصِفات والأشياء الّتي تمّ ذِكرُها. وهذا الفعل يندرج في صنفِ الأحكامِ والقرارات وهو حكم التحريمِ.

5. قال جلّ في علاه: أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ { **المائدة96.}**

اقتضتْ الآية "**تحريم قَتْلِ الصَيْدِ على المحرم وجعل جزاء فعله هدى مثل ما قبل من النعم، فكان السامع يسأل عن صيد البحرِ لأنّ أخذه لا يُسَمى في العُرْفْ قتلا، وليس ما يُصَادِفُهُ مثل النعم، وأراد بالمثلِ من النعمِ المقارب في الحجْمِ والمقْدار، فبيّن الله للناسِ حُكْم صَيْد البحر وأبقاهُ على الإباحة.**"[1]

يشير هذا التفسير السامع لم يكن يعِي بدرَجةٍ كبيرةٍ لهذا المعنى لأنّه يُعَدُ أخْذَ إلى نهي المُحْرِمِ للإقبالِ على الصيد وما في البحارِ لا يَعْتبرونه قتلا، فبيّن الله للناس كافة صيد البحر وهو الإباحة أي الإحلال وترخيصِ صيد ما احتوت عليه البحار.

"**ومعنى أُحِلّ لكم صيد البحر: البقاء حليته لأنّه حلالٌ من قبلِ الإحرَامِ، فالآية ليست بمثنية لتحليلِ أكل صيد البحرِ ولكنّها منبّه على عدم تحْريمهِ في حالِ الإحْرَامِ.**"[2]هذا تشريع بإحلال الصيد من قبْلِ الإحرامِ، ففي الآية نلحظ وجود فعل كلامي أحِلَ اضافة

[1] المرجع السابق، ج7، ص 51.

[2] المرجع نفسه، ص52.

إلى فعلٍ إحالي بالضمير لكم دلالة على الّذين آمنوا، والفعلِ الدلالي هو الصيد لما هو موجود في البحار واحلال طعمه وامساكه، والمستلزم المنطقي هو امساكه من البحر أي: (الإحلالِ).

وقوله تعالى وحُرّمَ عليكم صيد البرّ ما دمت حرما: وتعني:" **زيادة تأكيد لتحْريمِ الصيد، كونهم حرمًا أي محرمين أو مارين بحرمِ مكة.**"[1]

فبيّن الله عزّ وجلّ في هذه الآيةُ على تحْرِيمِ الصيد للناسِ وهم حُرُمٌ أو في الأشهر الحرُمِ أو حتى وإن كانوا مارين بالحرم المكي. فقد أحل الله لعباده صيد البحر وأكل من جميع ما يعيشُ فيه وأُبِيحَ لهم أكله والتمتّعُ بخيراتِهِ حتى إنّ كانوا حُرُم، وفي الوقتِ عينه حُرّمَ عليهم أكل ما وجِد في البرّ من الوحوش المأكول أي الّذي اكلته الوحوش، لهذا حَرّم تعالى أكله وخَصَّ بهذا الحكم جميع الناسِ وجميع الفئاتِ.

هنا فعل كلامي حُرّمَ فعل إسنادي وفعل إحالي عليكم أي المؤمنون، وجاء الفعل مبني للمجهولِ وهو فعل مضعف بالشدةِ والشِدّة زيادة في الحركة فكلّ زيادة في المبنى زيادة في المعنى، وهنّا تحريم صيدُ البرِّ وهم حُرُمًا، وهذا هو المحتوى القضوي للآية، أمّا المستلزم المنطقي هو التحريم (أي الحكم) من الآية هو فالمحرّم ممنوع من الصيد مطلقا وبشكلٍ عامٍ سواء في الحرم أو في غيرِهِ والمحلل ممنوع من الصيد داخله وفقط.

والفعل الإنجازي هو الابتعاد عنّ هذه المحرّمات.

[1] المرجع السابق، ج7، ص53.

2.3. **أفعال الممارسة.**

1. قال تعالى:يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴿٢٨٢﴾ { البقرة:282.}.

"شرع الله تعالى في هذه الآية من سورة البقرة للناس بقاء التداينِ المتعارف بينهم كي لا يظُنوا أنّ تحرِيم الرّبا والرجُوعِ بالمتعاملين إلى رؤُوسِ أموالهم ابطالٌ للتَداينِ كلّه وأفاد ذلك التشْريع بوصْفِهِ تشْريع آخر مكمل له وهو التوثُّقِ له بالكتابةِ والإشْهادِ."[1]

يُسْتَدلّ من هذا التفسير الوجيزِ للآيةِ الكريمَة أنّ الله عزّ وجلّ بيّن للناس والأمةِ جمعاء أنّ التدايُنَ بيّن الناس مُباح مع شُروطٍ لابُدَ من تَوَفُرِها ألَا وهو الكتابة والتوثق بين الشخصينِ المتداينين حتى لا يضِيعَ حقٌ كلّ طرفٍ من هذه المعاملاتِ وغيرها، وكذلك ضَرُورَة الاشْهادِ عليها.

. تداينتم فعل كلامي يتمحورُ عليه الخطاب ويخدمه فعل إحالي على المؤمنين والدلالة عليه ضمير جمع المخاطب أنتم وفعل فاكتبوه: إنشائي بصيغة الأمرِ وهو الانتظار من تجسيد الفعل في الواقع، والقوة الإنجازية غير المباشرة(الاستِحبابِ) والمسْتلزم

[1] المرجع السابق، ج3، ص 98.

المنطقي من هذا الفعل الأمر قطع أسْبابِ الخصوماتِ وتنظيمِ المعاملاتِ للأمّةِ، ونهي الإمتاع عن الكتابة المفيدة.

وفي قوله "وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢{البقرة: 282}.

العليم اسمٌ من أسماء الله الحُسْنى وصفاته العليا، يحتل الاسم المرتبة العشْرين من أصلِ تسعةٍ وتسْعين إلا مائة والمقصُود به" **المحيطُ علمه كلّ شيءٍ.**"[1]

أي: أنّ الله تعالى علمه واسعُ ومحيط بكلّ الأمور الصغرى والكبرى ففي هذه الآية "**أمرٌ بالتقوى لأنّها ملاكُ الخَبْرِ، وبها يكون ترك الفسوقِ، وتذكيرِ بنعمةِ الاسلامِ الّي أخرجهم من الجهالة إلى العلمِ بالشرِيعةِ، ونظامِ العالم وهو أكبر العلوم وأنفَعها.**"[2]

تقوم الآية على فعل اسنادي واتقوا وفعل إحالي ضمير مستتر تقديره أنتم دلالة على المؤمنين، وفعل مباشر انجز بفعل الأمر وفعل غير مباشر هو النهي المطالبة بالتقوى.

أمّا بخصوصِ المحتوى القضوي هنا سعة علم الله واحاطته بكل الأمور في الحياة وبعد المماتِ لسائرِ المخلوقاتِ، وهناك علاقة لازِمةٌ بيّن التقوى المطالب بها وعلم الله الّذي لا يخفى عليه شيءٌ.

فالدعوة هنا لطاعة الله تعالى هو المعني المستلزم المنطقي من هاتهِ الآية.

[1] محمد متولي الشعراوي أسماء الله الحسنى، بقلم محمد السنراوي، دار المطبوعات قطاع الثقافة، أخبار اليوم، د ب، د ت، ص9.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص118.

2. قال عزّ من قائل:**وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ {الكهف 45.}**

المقصود من الآية أنّ "**اضْرِب مثلا آخر على حقارة الدنيَا وقلّةِ بَقَائِها والكلام متَصلٌ بما تقدّم من قصةِ المشْرِكينَ على فقراء المُؤْمِنِين فقال "واضرب لهم أي: لهؤلاءِ الّذين افْتخَروا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين.**"[1]

حيثُ ذكرتِ لنا الآية مثالا على حقَارَةِ وخُسوء الدنيا وسُرْعَةِ زوالها بلمْحِ البَصَرِ مثل حالِ النباتِ الّذي اعشوْشَبَ واخضَرّ بعدما نزل عليه الغيث النافع وسرعان مما ييبس ويجفُ تُفَرّقُهُ الرياحَ في الهواء كأنّه لم يكن موجودًا من قَبْلُ.

"**لهذا كان أعظم حائلٍ بين المُشْركين في النظَرِ في أدلةِ الإسلامِ هو انهماكهمْ في الإقْبَالِ على الحياةِ الزائلةِ ونعيمها، والغرُورِ الذي غرّ طغاة أهلِ الشِرْكِ وصَرَفَهُمْ عن اعمالِ عقُولِهم في فهمِ أدلّةِ التوحيدِ والبعثِ.**"[2]

الفعل الكلامي في الآية يكمن في الفعل الإنشائي الأمر وهو يقوم عليه الكلام الفعل **اضرِبْ**" وهو فعل إسنادي محض، أما الفعل الاحالي مشارُ إليه بضمير المخاطب المستتر وهو أنت إحالة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وكذلك إحالة في الفعل أنزلناه(نحن).

[1] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج21، ص131.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص330.

تتمثّلُ القضِيةُ في التمثيلِ لملذاتِ الحياة الدنيا لشِدّةِ زوالها بسرْعَةٍ وانقِضَائها وفنائها حيثُ صَوّرها الله تعالى بالشيءِ الملموسِ بالنباتِ الّذي أُهْلِكَ فأصبح هشيمًا ضعيفًا ويابسًا والمحْتوى القضوي أي الفعل الدلالي في هذه الآية هو الجري ورواء ملذات الدنيا، واتباع الأهواءِ.

والمستلزم المنطقي من هذا الفعل الكلامي هو العذاب.

وهناك أفعال أولية تخدم الفعل والغرض الأساسي، ويتكون من قوة إنشائيةٍ هي الأمر موظّفةِ لتأديةِ مقاصد غير حرفية للخطابِ القُرْآنِي، تكمن في تنبيه المرء الساهي والغافل لتدارك الأشْيَاء القابلةِ للزوالِ.

يندرِجُ هذا النوع من الأفعالِ الكلاميةِ في صِنفِ الممارسَةِ حسْب التقسيماتِ الّتي جاء بها أوستين.

3.3.أفعال الوعد:

1. قال المولى عزّ وجل: **وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾{البقرة: 270.}**

احتوت أفعال الوعد في كتاب الله عزّ وجلّ تارة على وعيد أو تبشير وتارة أخرى تعني التحذير وقد جمعت بينهما في مواضع أخرى معا بين التحذير والتبشير.

والمقصود من الآية الكريمة" **أنّ هذا وعيد وقوبل به الوعد الّذي كنّى عنه بقوله فإنّ الله يعلمه والمراد بالظالمين علنًا والمنافقون لأنهم إنّ منعوا الصدقات الواجبةِ فقد ظلموا مصَارِفها ظلموا أنفسهم بإلقائها في تبعات المنع وقد منعوا صدَقَةَ التطوّع في أنفسهم بحرْمانها من فضائل الصدقات وثوابها في الآخرةِ."**[1]

تحتوى الآية على وعيد مقابل بالوعد اتجاه الأشْخَاصِ المنافقينَ والمشْركين الّذين ظلموا أنفسهم بمنع الانفاقِ والتصَدّقُ لله تعالى فإنّ الله يَعِدُهم بوعيد لا يَنْفَعُ مال وبنون.

يتمَثّلُ الفعل الكلامي في هذه الآية نذرْتُمْ فعل وعيد يقوم عليه الخطاب وفعل إحالي جاء بضميرِ مسْتتر أنتم دلالة على المشْرِكين والمنافقين. والفعل الدلالي أي المحتوي القضوي لهاتهِ الآية يَتمثلُ في نفي النصرِ والفوز في الآخِرَةِ، وهو ظاهر في الدنيا لأنّهم منعوا بنَصْرِهِمْ الفقيرِ بأموالهم فإنّ الله يَعِدُهُمْ النصيرِ في المضايقِ. والّذي يُسْتلزم المنطقي يتجسّدُ في الوعيد من الله بعدم النجاةِ في الآخرةِ والحرمانِ من ثَوابِ وأجْرِ الصَدقَاتِ يوم الحسابِ أي: الهلاك.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص66.

2. قال تعالى:" يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾{ آل عمران: 171.}

نزلت هذه الآية بعدما الرسول صلّى الله عليه وسلم رأى في اسْتِنْفار الناس بعد غزوة أحد حين انصَرَفَ المُشْركون واسْتجاب له (لابي سفيان) سبعون رجلا، أمّا النبي عليه الصلاة والسلام فكان في قلّةٍ، فبعدها دخل أبو سفيان مكة منتصِرَا، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية.[1]

تشير الآية من سورة آل عمران إلى بشارةٍ "**في الآية بشارة لأصحابِ أُحُدٍ الأحياءِ بأنّهم لا تلحقهم نكبةٌ بعد ذلك اليوم، وضمير يسْتَبْشِرُون يعود للّذين لم يلْحقوا بهم.**"[2]

نلمح في الآيةِ بشارة من المولى عزّ وجلّ خصَ بها العباد المشارِكون في غزوة أحدٍ مع النبي صلّى الله عليه وسلم وبعدهم بأنّ لا يكون لهم خسارة ولا هزيمة بعد هذا اليوم.

أو كما فصلهم الألوسي في تفسيرِ روح المعاني لمعاني القرآن العظيم" **الاسْتبشار الأوّل بدفْعِ المضارِ، ولذا قُدّمَ والثاني بوجودِ المسارِّ، والأوّل لإخوانهم، والثاني لهم أنفسهم.**"[3] نجدُ في الآيةِ فعل كلامي يسْتَبْشِرُون، وهو فعل اسنادي يتمحورُ عليه

[1] ينظر: أبو الحسن بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، تح: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1991م، ض130.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص166.

[3] الألوسي، روح المعاني لمعاني القرآن العظيم، ج4، ص124.

الخطابِ الديني، هذا بالإضافَةِ إلى الفعل الإحالي على المؤمنين المجاهدين بضمير الغائب هم والفعل الدلالي أصله تخلّفِ المجاهدين عن اللّحاقِ بالغزوة وتولِيهِم عن النبّي عليه الصلاة والسلام. والاسْتِلزام المنطقي يكمن في الفوز بجناتِ النعيمِ، والفعل الكلامي الّذي سبق تحديده **يسْتَبْشِرون**" فيه فعل مباشِرٌ البشارة أي النجاة والفلاح والثاني غير مباشر وهو انْشِراح الأنفُسِ بأنّ الله جمع لهم المسرّة الجثمانيةِ الجُزْئِيَةِ.

3. فال تعالى:**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَـٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**

﴿النساء:56.﴾

مضمون الآية كما يلي: "**اعْلم أنّه قد جرَتْ عادة الله تعالى في هذا الكتابِ الكريمِ بأنّ الوعد والوعيد يتلازمانِ في الذكْرِ على سبيلِ الأغْلَبِ وفي الآية مسْأَلَتانِ هما: الأولى دالة على أنّ الإيمان غير العَمَلِ والثانيَةُ أنّ الله تعالى ذكر في شرْح ثوابِ المطيعين أمورًا أنّه تعالى يُدْخِلَهم جَنّاتٍ تجْرِي من تحْتِها الأنهارِ.**"[1]

هذا ما تحويه الآيةُ من معاني ودلالاتٍ حيْثُ أنّ الوعد والوعيد يَتصَاحبانِ في الذّكرِ، لأنّ الله أعطاهم وعدٌ ووعيد وهو العقاب للّذين لم يَتبِعُوا الدين الحنيفِ.

وفي قولِهِ: ليذوقوا العذاب "**تقليل لقوله بدلناهم لأنّ الجلد هو الّذي يُوصل إحْسَاسَ العذابِ إلى النفسِ يحسبِ عادة خلْقِ الله تعالى، فهو لم يُبَدل الجلد بعد احْتِراقه، لما**

[1] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيبِ، د10، ص140.

وصَلَ عذابُ النارِ إلى الناسِ."[1]ضرب الله مثلا بذِكرِ عضْوٍ حساسٍ وهو الجلد الّذي يُحِسُ بعذابِ النار من الوهلَةِ

الأولى للاحْتِراقِ ودنّوا لهيبِ جهنّم منهم، والغاية من هذا الاسْتِبْدال معناه ان تعود على حالتها الأولى غير محْترقةٍ بعد أن احترقت، فهنا توجد استعارة استُعِيرَ لفظةِ التذوّقِ للدلالة على الألم والعذاب الّذي يُصيب المرء فصفته دائِمةٌ غير منقطعةٍ.

فنجد في الآية فعلا كلاميًا ونوعًا من أنواعِ الأصناف التي ذكرها أوستين هو "ليذوقوا" فعل مباشرٌ وفعل إحالي يشير إليه الضمير المستتر هم ليحيل ويدّل على الكافرين الّذين لا يُؤْمنون بالله بحُكْمِ التذييلِ، والعذاب والعقاب هو المسْتلزم المنطقي من الآية والفعل التأثيرِي هو التهديد والوعيد.

4. وفي قوله: **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾**

{النساء:57}

المقصُود بها "**هو تمام محاسنِ الجناتِ لأنّ الظل إنّما يكون مع الشمْسِ وذلك حال الجنّاتِ ولذّةُ النعيمِ.**"[2]

واسْتخدمت كلمة الظل للدلالة عن الراحة والظليل للمبالغة عليها (الراحة) فهمنا كناية عن الراحة غرضها تقوية المعنى وتجسيده. كما نلحظ جناس في كلمتي الظل والظليل.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص 90.

[2] المرجع السابق، ص90.

فهنا وعد من الله تعالى للمؤْمنين الّذين صدقوا الله حيث وعدهم بجنات الخلدِ والمستلزم منها هو الفوز والنجاةُ من العذابِ الأكبر ِوالقوة الانجازية رؤْيَةُ النورِ مع انتفاء الحرّ أي الراحة الدائمةِ.

5. قال الله تعالى:**وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١{النازعات:01}**

تشْمل آياتُ سورة النازعاتِ على حقيقةٍ جزْمِيّةٍ ولا تشْكيك فيها تتمثّلُ في البعث والجزاءِ من جنسِ العملِ وابْطَالِ زعم المشْرِكين الّذين يُؤْمنُون باسْتحالةِ اعادةِ الإحياءِ والبعثِ من جديدٍ بعد انْعدامِ الروحِ في الأجْسَامِ.[1]

فسورة النازعات نزلت في المدينة وجاءت بدايتها بالقسمِ " **ابتدأت الآية بالقسَمِ بمخْلُوقات ذات صفات عظيمة قَسَمًا المراد منه تحقيق ما بعده من الخبرِ وفي هذا القسم تهويل المقَسَمِ به فتلك صفات لموصُوفاتِ محْذُوفةٍ تَدّلُ عليها الأوصافِ الصالِحَةِ لها والمقصُود بالنازعاتِ هو وصف مشْتقٌ من النزعِ ومعاني النزع كثيرة ترْجعُ إلى الاخراجِ والجَذْبِ.**" [2]

افتتحت السورة بالقسمِ بعدد كبير من الصفاتِ العظيمة لغرضِ تحقيقِ وتأكيدِ الخبرِ في القَسَمِ الّذي يَصْبوا إلى تهويلِ وتعْظيمِ المقسم به فالنازِعات حسب التفسيرِ للآيي القرآني تتمحْوَرُ في النزْعِ والجَذْبِ بشِدّةٍ وقوة كبيرةٍ.

[1] ينظر: المرجع السابق، ج30، ص60.

[2] المرجع نفسه، ص60.

وورد في الكشافِ أنّ الله أقسم "**بطوائِفِ الملائِكةِ الّتي تنزعُ الأرْواحِ من الأجْسَادِ وبالطوائِفِ الّتي تُنَشِطها أي تُخْرِجها من نشْطِ الدلو من البِئْرِ إذا أخْرجها.**[1]

النازعاتُ هي جماعاتٌ مُوَكّلةٌ بقَبْضِ الأرواح البشريةِ جمعاءْ والّتي تُنَشِّطُها بعد الموتِ. والملاحظ من الآية أنّها تحتوي على فعل كلامي جوهري ينبني عليه هذا الخطاب هو فعل محذوف تقديره أقْسِمُ وفعل إحالي يدّل عليه (النازعات) الألف والتاء تدلّ على الملائِكَةِ.والفعل التأثري للآية تتجَسّدُ في التهويلِ وتعْظيمِ الشيْء المقسم به خدْمةً للغرضِ الأهمِ وهو اثِبَاتُ البعثِ لأنّ الموت هو أولى منازلِ ودرجاتِ الآخرة.

هنا شبه خروج الروح من الجسَدِ بخروج الدلو من البئرِ فذا هذا هو محتواها القضَوي (الآية) والّذي يُسْتلزم منها كذلك هو حقيقة الاحياءِ وإعادة البعْثِ بعد الموتِ والفناءِ.

6. قال المولى تعالى:**وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥** {**البقرة: 25.**}

إنّ آيات القرْآن الكريمِ بديعٌ في نظمه ومعجز في لفظه ومعانيه، وهذا بحكمةِ من الباري جلّ شأنه، فكلّما ذكرَ آية من الآيي العظيمة تضَمنت الوعيدِ إلّا وتلازِمها آية أخرى في الوعْدِ وهذا الشيء ملحوظٌ في ترتيب النصِ القرْآني.

فالآية الخامسة والعشرين من سورة البقرة نزلَتْ في المُؤْمِنين بالله الكريم وتوحيده سبحانه وتعالى على أنّه هو الواحدُ الأحد. والمقصود منها (الآية)لأنّه " **لمّا ذَكَرَ**

[1] الزمخشري، الكشاف، ج 30، ص1175.

سُبْحانَهَ وتعالى فيما تقَدّمَ الكُفَار ويَؤول إليهِ حالهم في الآخرةِ، وكان في ذلك أبْلَغ التَخْوِيفِ والانذارِ، عقب المؤمنين مالهم جزْيًا على السُنّةِ الإلهية من شفعِ الترغيبِ وبالترهيبِ، والوعد والوعيد، لأنّ من الناسِ منْ لا يُجدِيهِ التخويفِ ولا يُجْديهِ وينفعهُ اللطْفُ، وبشرَهُ مُخْتَصٌ بالمواثِقِ المضْمونةِ البْشَارة، كأنّه تعالى أوْحَى إلى نبيّهِ عليه الصلاة والسلام أنّ يَدْعُوا الناسَ لعبادتِهِ.[1]فهي تشير إلى تبشير المؤمنين الصادقين بجناتِ الخُلْدِ الّتي صَدَقَ الله وعدهُ إياهم، حيثُ تشمل الآية على فعل كلامي يتمحْورُ حوله الخطاب القرآني ألّا وهو" **وبشر**" فعل اسنادي وضمير مسْتترْ أنت فعل إحالي يُحيل إلى النبّي الأمين المختارِ عليه الصلاة والسلامِ، فالله تعالى يأمر نبيّه بأن يُبَشِرَ عباده الّذين اتبعوا دينه، أنّه اعدَّ لهم جنات تجري من تحتِها الأنهار نكالا بما عملوا من صالحات في دنياهم، والفعل التأثرِي هو الثواب والفوزِ العظيمِ.

7. قال تبارك وتعالى:**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾{الكهف:47،48.}**

" **فبعد أن بيّن لهم تعَرضَ ما هم فيه من نعيمٍ إلى الزوالِ على وجهِ الموعظةِ، أَعْقَبَ بالتَذْكِيرِ بما لعد ذلك الزوالِ بِتَصْوِيرِ حالِ البعْثِ وما يَتَرَقَبُهَمْ فيه من العِقَابِ على كُفْرِهم.**"[2]

هذه الآية تتمة للآية التي سبقتها "واضرب لهم مثال الحياة الدنيا كماءٍ" التي صورت الجري وراء ملذّاتِ الدنيا، أكمل الله جلّ جلاله التذكِير بشيْءٍ حتْميٌ ولا مفرّ منه

[1] الألوسي، روح المعاني، ج1، ص200.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص366.

بتصوِيرِهِ هوْلَ مشاهدَ يوم العرْضِ ويوم الحسابِ الأكبر مُبْرِزًا لهم العقاب الّذي يَنْتَظِرُ القوم الكافرين الّذين صَدّوا عن الدربِ المنيرِ.

حيث" **شبهت حالهم بحالِ الجنْدِ المعروضين على السُلْطانِ، مُصْطَفِينَ ظاهرينَ.**"[1]

بُنيتْ الآية على فعل كلامي نسيّرُ وهو وصف مشاهد يوم القيامة يوم يحشرُ الناس أمام ربّ العباد، وهناك فعل إحالي للدلالة على الذات الإلهية في الأفعال التالية: خلقناكم، حشرناكم، جئْتُمونا، بضمير، المتكلم (نحن) أما فيما يخُصُ الفعل الإنجازي حشرناكم يتجسّدُ في قدرة الله تعالى في إعادةِ البعْث والإحياءِ بعد الفناء والزوال للمخلوقاتِ، وهو قوة إنشائية حرفية للخطاب، والفعل التأثِيرِي التهديد والوعيد، والقوة الإنجازية هي الإنكار الكافرين ولهذا اليوم العظيم وبعثهِ.

نستخلِصُ في نهاية المطاف أنّ هذا النوع من الفعل يندرج في قسمِ الوعدياتِ حسب تقسيم أوستين لنظرية الأفعال الكلامية في اللسانيات التداولية.

8. وفي قوله تعالى: **وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾{النمل:82.}**

بيّن الله تعالى في الآية المذكورة أعلاه من سورة النملِ الدلائِلِ القَطْعِيَّةِ والقاهرة والقدرة الإلهيّة وسعةَ علمه بخُصُوصِ يوم الجمعِ ويم الحَشْرِ وأهْوالْهِ، حيث ذكر في بداية الآية علامات القيامة وهي خروج الدابةِ من تحتِ الأرضِ وتَكَلْمِهَا مع الناسِ.[2]

[1] الزمخشري، الكشاف، ج15، ص 622.

[2] ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج24، ص217.

وفي الآية أيضا إشارة إلى التذكير بصِدقِ الوعيد الّذي عزّ وجل لخلقه ولأمتِهِ جمعاء" **والقول أريدَ به أخبار الوعيد التّي كذبوها منْهمكينَ باسْتِبْطَاءِ وقُوعِها، والآية تشير إلى شيءٍ من أشْرَاط الساعةِ وهو من خوارقِ العاداتِ، والتعبيرُ عنه ووقُوعهِ بصيغةِ الماضي لتقريبِ زمن الحالِ من المضي."**[1]

فالمشركين الّذين كذّبُوا بصِدقِ هذا اليوم وأنّه غيرُ آتٍ مهما طال الزمن، فالله تعالى أكَدّ لهم بِقُرْبِ حدُوثِها وحاشاه أنّ يكون مُخِلِفً الميعاد.

" والمرادُ بأخبارها إياهم بذلك التحسُّرِ على ما فاتهم من الإيقانِ بما قرُبَ وقُوعُهُ وظهورِ بطلان ما اعتقدوه ومؤاخذتِهم على التكذيبِ به أشَدّ مُؤَاخَذَةٍ"[2]

لهذا نجد الآية تحسُرًا على القوم الكافرين لما فَرّطُوا من دين الله الحنيفِ حيثُ بيّن لهم الله عند إخْراجِ الدابةِ لِيُرِيَهمْ كيف يُحيي الموتى وإعادة البعثِ من جديدٍ.

يوجد في الآية فعل كلامي أخْرَجَنا فعل إسنادي زائد فعل إحالي للدلالة عل الذات الإلهية بضمير المتكلم (نا) نحن إشارة واضحةٌ إلى خالِقِ الأكوانِ سبحانه وتعالى، وهو يتأسس عليه هذا النص الدينِي، فالله سبحانه يوم الحشر العظيم ليخرج للكفرة الدابة من الأرضِ تكلمهم وتحدّثَهم عن تكذيبِهم وابطال زعمهم الّذي كانوا يزعمون أنه صواب.

كما أنّ الشيء الظاهر في الفعل تكلّمهم ضمير الجمع يوحي للكفرة(هم) وهذا دليل على أن الخطاب موجّهٌ لهؤلاء الفئات من الناسِ في انكارهم واعراضهم أنّ ميعاد هذا اليوم سيأتي، وهذه هي القوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي. والفعل غير المباشرِ الّذي يدّلُ عليه الخطاب هو التحقير لأولئك الأشخاصِ الكفرة الجاهلين والمعرضين على

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج20، ص38.

[2] الألوسي، روح المعاني، ج20، ص24.

الصِرَاطِ المسْتَقِيمِ. والمحتوى القضوي هو إخِرَاجُ الدابةِ من الأرضِ أي الفعل الدلالي وأخيرًا فيما يَخُصُ المستلزم المنطقي هو إعادة البعث والعذاب للكافرين والمكذبين. وهذا النوع من الأفعال الكلامية ينخرط في خانة الوعديات أي أنّ هذا الصنف يحتوي كلّ الأصناف الّتي تختصُ بالوعد والوعيد سواء كان حسنا أم سيئًا مع قابلية تجسيده.

4.3.أفعال السلوك.

قال الله تعالى في كتابه الكريم. قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ { طه:45.}

تشير الآية الخامسة والأربعون من سورة طه إلى قصة من القصص القرآني حيث جرت مع كليم الرحمان موسى عليه السلام فلمّا بعث الله نبّيه عليه السلام بالرسالة إلى دعوة فرعون إلى عبادةِ الله سبحانه وتعالى تَلَجّ صدْرَهُ وخاف خوفًا شديدًا بأن عليهما ويعجل بعُقُوبتهما (موسى وهارون عليهما السلام) لأنّهما يدْعواه إلى عبادة غير آلهته، أي يتكبر ويزْداد طُغْيَنًا.[1]

أو كما ورد في تفسير الكشاف لهاته الآية بأنّها تشير إلى اخبار " **أي نخاف أن يحيل بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلةِ، أو يُجَاوز الحدّ في معاقبتنا إنّ لم يُعالج على ما عَرِفَا وجرّيا من شَرَارَته وَعُتُوّهِ.**[2]

[1] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص226.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج16، ص657.

يعُود سبب خوف موسى عليه السلام من أنّ يَكون فرعون طاغية وجَبّارًا في الحُكْمِ عليهما (موسى وهارون عليهما السلام) اتجاه أفعالهما وأقْوَالِهما إن يدعوه إلى توحيد الله وعبادته فيعجّل عليهما بالعقوبة وبقوته وجبروتِهِ وقساوة قلبه.

ونجد في الآية سالفة الذكر فعلا كلاميا هو نخاف وهو فعل إخباري بالإضافة إلى الفعل الإحالي يوضحه ويفسِره الضمير أننا يشير ويحيل إلى النبي موسى وأخيه هارون عليهما السلام، أمّا فيما يَخُصُ الفعل الدلالي أي المحتوى القضَوي يتلخّصُ في تعجيلِ

العقاب والعذاب بالقتلِ، إذن: المسْتلزم المنطقي هو خوف موسى عليه السلام من طُغيان فرعون وجبرُوتِهِ هذا هو الفعل والمعنى المباشر الّذي يُفهم وَيسْتَنْتَجُ من الفعل والآية بالإضافة إلى فعل غير صريح يوحي إلى التحقير والإهانةِ.

فصُنّف الفعل الكلامي ضِمن الأفعال السلوكية حسب تقسيمات أوستين ويندرج كذلك في صنف التعبيريات حسب تقسيماتِ تلميذه سورل.

2. قال جلّ جلاله:**قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴿٧٣﴾**

{الكهف: 72.}

تروي لنا الآية قصة لسيدنا موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام عندما اتخذ سبيله في البحر لطلب العلم والحكمةِ والمعرفَةِ" **حيث اعتذر موسى بالنسيانِ وكان قد نسى التزامه بما غشَى ذهْنَهُ من مشَاهَدَةِ ما ينْكُرُه، والنهي المسْتَعمل في التعطفِ والالْتِماسِ، عدم المؤاخَذَةِ."**[1]

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص376.

نلتمس من هذا التفسير أنّ النبّي مسى عليه السلام قد قَدّمَ اعْتِذَارًا إلى الخضر عليه السلام عندما نسي وصيتُه الّتي اتفقا عليها، حيثُ يلْتمسُ منه عدم المؤاخذَةِ والمحاسبةِ على ما بدر منه من كلامٍ واسْتِفْسَارٍ. فهنا بمثابة النهي عن المؤاخذة والعتاب له (موسى عليه السلام).

لا تؤاخذني فعل جاء بصيغة النهي أي: طلب الاعتذار فهو محور الخطاب ويسْتلزم منه الصفح والعفو، أما الفعل التأثيرِي لهذه الآية هو ترك المؤاخذَةِ والمحاسبةِ وقُبول الاعْتِذارِ.

3. قال الله تعالى: **قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾{الشعراء:12.}**

استهلت الآية العظيمة ببيان خوف وقلق كليم الرحمان عليه السلام: "**وإنما خاف أن يُكذبوه لِعِلْمِهِ بأنّ مثل هذه الرسالة لا يتلقاها المرسل إليهم إلّا بالتكذيبِ، وجعل نفسَه خائِفًا من التكذيبِ لأنّه لما جعلت الرسالة عن الله وقره في صدْرِهِ الحِرْصَ على نجاحِ رسَالتِهِ، فكان التكذيب فيها مخوفا منه.**"[1]

توحي الآية إلا أنّ سيدنا موسى عليه السلام لما كلّفه الله تعالى بالذهاب إلى فرعون لدعْوتِهِ من أجل عبادة الله تعالى أجيب موسى ربنا بقوله أخاف فهذا الكلام تعبيرًا عن مدى خوفه واضْطرابه من ملاقاة فرعون وخشية تكذيبهم له إثر ردة فعل فرعون وصدّه عن الحقِ، لهذا كان حريصًا (موسى عليه السلام) على تبليغ الرسالة الربانية المكلّف بتبليغها.

نستخلص من الآية أنها تحتوي على فعل كلامي بصيغة الحاضرِ **أخاف** اضَافةً إلى الضمير المنفصل إني إشارة وإحالة إلى النبي موسى عليه السلام، والفعل المنجز

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص105.

مباشر هو الخوف وقوته الإنجازيّةِ التكذيب والصَدّ عن سبيل الله، والفعل يكذبون فيه إحالة ودلالة على قوم فرعون، فهم كانوا يعبدون سيّدهم كما أنهم متكبّرين ومتسلّطين وهذا هو الفعل الدلالي. والذي يسْتلزم منها (الآية) هو الردّ عن الإيمانِ لما يحمله موسى عليه السلام.

4. قال المولى: **وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ**

﴿١٣﴾{الشعراء:13.}

اسْتُعمل في الآية فعل مضارع يضيق وهو مسْتخدم لغرضِ التعبير عن الغضبِ الشديد وهذا هو نتيجة انفعالٍ حيث يشعر إزائها بشبه امتلاء الصدْرِ وقلّةِ سعتِهِ في تحمّلِ الأعباءِ، كما ينبئ المقصود من ضيق الصدرِ كثرة خواطر والاسْتدلالِ في ذاته على الّذين كذّبوه حتى يكون برهانه قوي التأثير عليه ونكون ردّةَ فعلهم التصديق، كما طلب من الله تعالى أنّ يوحي بواسطة جبريل إلى أخيه أنّ يأتي معه.[1]

تقوم الآية على الفعل يضيق مع الفعل الاحالي أشير إليه بضمير المتكلم المنفرد أنا جاء مستتر دلالة إلى النبي موسى عليه السلام وأفعال أخرى تخدم الفعل الأولي ينطلق، فأرسل، ويكمن الفعل الدلالي في ذهاب موسى عليه ليَعِضَ قوم فرعون وخوفه من عدم التصْديقِ له، والمستلزم المنطقي التكذيب له أما الفعل المنجز في هاته الآية يتمثّل في خوف وضيق صدره (موسى عليه السلام)

[1] ينظر: المرجع السابق، ج19، ص106.

ففي الآية إشارة واضحة إلى مقابلة قائمةٍ بين عبارتي: يضيق صدري ولا ينطلق لساني.

5. قال المولى: **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾{النساء:86.}**

تدُلُ الآية على الأمر "**بردّ السلام ووجُوبِ الردّ ولذلك اتفق الفقهاء على وجوبِ ردّ السلام، وهذه الآية من آداب الإسلام علّم الله بها أنّ يَرُدوا على المسلم لأحسن من سلامه أو بما يُماثله.**"[1]

تعبّرُ الآية على وجوبِ إفشاء السلام بين الناس سواء كانوا جماعاتٍ أو فَرادى، حيث ورد الفعل على صيغة الأمر، حيّوا دلالة وتذكيرا على وجوب الالتزام والعمل بها، فهذه هي تحية الإسلام والأصل فيها أي: التحيّة هو الدعاء بالحياةِ.

يعدّ الفعل حيّوا فعلا كلاميا فعل اسنادي جاء على هيئة فعل أمر يتممه فعل احالي بضمير المستتر أنتم يوحي إلى المؤمنين، والتحية هي المعنى والمدلول المستلزم المنطقي منها أمّا فيما يخص الفعل الدلالي مضمونه هو ضرورة الالتزام بإفشاء السلام بين الناس.

بعد هذا التحليل يمكن القول إنّ: هذا الفعل الكلامي الّذي انطوت عليه الآية العظيمة من آياتِ محكم التنزيل يمكن تصنيفه في مجال الأفعال السلوكيةِ وهي القسم الرابع من تقسيم أفعال الكلام على ضوء تفريعات رائدها اوستين.

[1] المرجع السابق، ج5، ص145.

5.3. أفعال العرض:

1. قال الله تعالى: **فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾{آل عمران:20.}**

المقصود من الآية هو بيان الحجج والبراهين الصادقة على وجود الله إلا أنه هناك فئات لم تؤمن ولم تصدق هذا الكلام فبين وأيد الله رسوله بجملة من الأدلّة حتى يدعم كلامه بها فالآية تشير إلى" **فإن استمر وفد نجران على محاجتك فقل لهم فصلا جامعا للفرقِ بين دينك الّذي أرْسِلْت به وبين ما هم مدبرين به.**"[1]

بعد أن بيّن ووضح النبي عليه الصلاة والسلام لكافة الناس مبادئ الدين الحنيف بالحجج والأدلّة القاطعةِ إلّا أنّه لم يلق ترحيبًا بسهولةٍ تامةٍ من بعض الناس، وداوموا على حالهم (المشركون) بنفورهم عن الدينِ الإسلامِي وتوحيد الله تعالى، فمنهم وفد نجرانٍ الّذين أصَرُوا وألَحُوا على مُجَادلَةِ النبّي صلّى الله عليه وسلم. فأمره الله عزّ وجلّ

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص202.

أنّ يُعْطِيَهم اليقين بمختلف السبل ويُفَصّلَ لهم الفروق الدقيقة بين دينهم الّذي يزعمون به الكمال والدين الإسلامي.

فهنا دعوة للنبي صلّى الله عليه وسلم إلى أتْبَاعِهِ الّذين أتاهم الكتاب من غير المؤْمِنِين من اليهودِ والنصارى واتِبَاعِه كما فعل المؤمنون بنيّة خالصةٍ وصادقةٍ فهم معرضون عن هذا الدين وهذا البلاغ العظيم الّذي أتى به، متَصِفين بالإسلام وخروجهم من الضلالِ والظلماتِ إلى نور يهدي القلوب والعقول والنجاةِ إلى برّ الأمانِ، وحتى إنّ لم يؤمنوا فلا يُضِرّوا النبي عليه السلام لأنه بلّغ الأمانَةَ على أبهى وأحلى صورة، فما لهم إلّا من وعيد نتيجة إعراضهم وتحليهم عن الإمساكِ بحبلِ النجاةِ، فالله هو الّذي يَتَولاهم.[1]

إنّ الآية سيقت في بيان الحجج والبراهين الصادقة فافتتحت بفعل حاجوك في زمن الماضي للدلالة على وقوعه مقارنا بفعل احالي يشير إلى الّذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى بضمير الغائب (هم) وأفعال أخرى تخدم الفعل الأساسي اهتدوا، تولوا، ...إلخ كلها على صيغة زمن الماضي.

[1] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج3، ص108.

يتمثل المحتوى القضوي في أنّ اليهود والنصارى تجاهلوا الدعوة المحمديّة وأبّوا أن يتبعوه (الرسول عليه السلام) على الرغم من الحجج الواضحة فبقوا على عنادهم وأصروا على مجادلتهم له.

والشيء الّذي يمكن أنّ نسْتَلزمه من الآية الكريمة هو اعراضهم عن النطقِ والإيمان بالإسْلَامِ فهم مهلكون لا محالة، والقوه الإنجازية لهذا الفعل هي انكارهم للدين الإسلامي.

2. قال تعالى: **وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾{النساء: 91.}**

تقوم الآية على دعامة الحجّةِ والبرهان الثابت فهي تشير إلى " **معنى حجة واضِحةٌ فيما أمرناكم به في حقِّهم لظهورِ عداوتهم ووضوح كفرهم وخباثتهم أو تسلّطًا لإخفاء فيه حيث أذَنا لكم في أخْذِهم وقتلهم.**"[1]

بعد أنّ تمادى الكُفار في طغيانهم وعتوهم في الأرضِ والعباد حيث لأضحت أعمالهم مكشوفة من إسَاءة وغيرها، فأعطاهم الله عزّ وجلّ حجّة واضحةٌ وبرهان صادق وهي سلطان مبين.

كما وضح ابن عاشور تفسير عبارة سلطان مبين بقوله:" **على أنه الحجة الواضحة الدالة على نفاقهم، فلا يخشى أن ينسب المسلمون في قتالهم إلى اعتاد وتفريق الجامعةِ.**"[2]

[1] المرجع السابق، ج5، ص112.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص155.

فهذه حجة قوية بيّن الله بها قوته وجبروته في الخلقِ، فما كان لهم إلا أنّ كذّبوا وأعرضوا عن هذا الدين، لهذا تعدّ بمثابة دليل قاطع لتكون في يد النبّي عليه الصلاة والسلام حين دعوته.

فالله تعالى يخْبر نبيه الكريم بأنه يسانده بأقوى دليل على صدقِ كلامه فالفعل جعلنا ورد على صيغة زمن الماضي مقترنا بضمير متصل فيه تلميحا واشارة واضحة للذات الإلهية لهذا ستكون الحجة على القوم الكافرين بإشارة الضمير لكم.

3. قال الله تعالى: **قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ**

﴿١٤٩﴾{الأنعام:149.}

هذه الآية نازلة في أولئك المشركين الكفَرَةَ الّذين نَسَبُوا الشِرْك والتحريم إلى الله تعالى فأقامَ سبحانه لهم الدليل والحُجّةَ القوية على ضَلَالِ إيمانهم وبهتان ما يقولون ويفعلُون حيثُ" **أثْبَتَ الله تعالى لذاتِه الإتيان بالدليلِ الساطع المبين للدينِ الحق فقال(قل فلِلّه الحجّة البالغة) أيّ قُلْ أيُها الرسول لهؤلاء المشْرِكين الجاهلين بعد إفْلَاسِهم وعَجْزِهِمْ عن الإتِيَانِ بدليلٍ مقنعٍ لله تعالى على الحجّة التامة الكاملة على ما أرادَ من إثْبَاتِ الحقائقِ وابطال الباطلِ، وإلْغَاءِ ما تذهبون إليه بالآياتِ الكثيرة والمعْجِزَاتِ الّتي أيّدَ بها الرسلِ.**"[1]

إنّ المشركون الّذين لم يتبعوا الدين الإسلامي ولم يُؤْمنوا به ولا بالله عزّ وجلّ ولا حتى بفكرة وجوده (الله) مطلقا، فوصلوا إلى درجة ظلْمِهِم أنّ نسبوا إليه الشرك والتحريم،

[1] وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير، ج8، ص443

فبيّنَ الله جلّ شأنه البرهان الصادق الّذي ينصرُ به دينه الحنيف، فأمر رسوله الكريم أنّ يقول لهم ويُفَقِههمْ في أنّهم عاجِزُون عن الإتيان بأي دليل حتى لو كان بمقْدار ذرّةٍ فإنّهم لا يُفْلِحون أبدا، فحجتهم باطلة ولا تعني شيئا، فالله هو القادر على كلّ شيءٍ خاصَةً بتأْيِيدهِ للرُسُلِ عليهم صلوات الله جميعا بمجموعة من المعجزات والآيات البَيِّنَاتِ لتكون كلمتهم (الأنبياء) فوق كلمة الكفرة والمشركين.

وفي قوله" **فلو شاء فاء التفْرِيعِ على ظُهور حجة الله تعالى عليهم، تفرُع على بطلان استِدلالهم أنّ الله لو شاء هداهم أيّ لو شاء هدايتهم بأكثر من ارْسَالِ رسولِ.**"[1]

هنا دلت الفاء في قول فلو لتفريع وتجزئة حجتهم واستدلالهم على حجة الله تعالى أي لو شاء الله لهداهم إلى سبيل الصراطِ بغير حجج ولا استدلالات لفعل والمقصود بالبالغة أي أنّ الغلبة تكون للرسلِ جميعا.

في الآية حجة واضحة ودليل بيّنُ، فالآية افتتحتْ وابتدأت بفعلِ أمرٍ يتجلّى في الفعل قل وهذا أمر للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أن يقيم لهؤلاء المشركين الحجة الّتي أيّد بها الله تعالى، ليبرهن على قدرة الله والعظمة الربانية.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج8، ص152.

والمسْتلزم المنطقي من الآية أنّ عناد وكفر المشركين الّذين لم يتبع ملّة الدين الإسلامي، والقوة الإنجازية تتمثل في الفئاتِ المشْرِكة البراهين الثابتةِ والدالة على وحدانية الله عزّ وجلّ.

4. قال الله بارك وتعالى: **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾{البقرة: 258.}**

المقصُودُ من الآيةِ أنّها" **جرى هذا الكلامُ مجْرى الحُجّةِ على مضمونِ الجملةِ الماضيَةِ أو المثالِ لها فإنّه لما ذكر أنّ الله يخْرج الّذين آمنوا من الظُلُماتِ إلى النورِ وأنّ الطّاغوت يُخْرِجُون الّذين كفروا من النورِ إلى الظُلُمَاتِ.**"[1]

هذا بمثابة دليلٌ قاطع فالله هو الّذي أخرج الناس من الظلماتِ وهداهم إلى طريقِ الحقِ والصوابِ، أما الكفرة فهم يُخْرجونهم من النور إلى الظلماتِ. ويُظلوهم عن سبيل الحقِ." **والمقصُود هو تمثِيلُ حال المشْرِكين في مجادلَتِهِم للنبّي عليه الصلاة السلام في البِعْثِ بحالِ الّي حاجَ إبراهيم ربّه.**"[2]

الفعل الكلامي هنا جاء بصيغة فعل مضارعٍ **ألم ترَ** وهو قاعدة الخطابِ فعل إسنادي استفهام للتعجّبِ بالإضافة إلى الفعل الإحالي إحالة إلى الرسولِ صلّى الله

[1] المرجع السابق، ج3، ص31.

[2] المرجع نفسه، ص33.

عليه وسلم بالضمير أنت (مستتر)، فالمحتوى القضوي الخروج عن الدين والفعل الإنجازِي هو الإعراض. والفعل ألم ترَ يتكون من قوة إنشائية الأمر وهي المعنى الحرفي أمّا المعنى غير الحرفي موظفة لتأديةِ دلالاتِ ضمنيةِ في هذا الخطاب القرآني تتجسدُ في التعجيب وقوته الانجازية هي الإنكار.

خاتمة

خاتمة

بعد ما تمّ الاسْهاب فيه من عرْضٍ وتحليلٍ خَلُصَتْ الدراسة والبحثُ إلى جُملَةٍ من النتائجِ يمكن أنّ أجملها في النقاط التالية:

1. إنّ المعنى الضمني هو غاية القول وركيزَتهُ الجوهرية ولا يُشَارُ إليه لسانيًا، بل يُسْتَنْتجُ حسب مُقْتضياتِ السياق الّذي قيلَ وأُنْتِجَ فيه القول.

2. التداولية أسُسٌ وقواعد بناءة للسانيات وليستَ سلة مهملات كمّا يَصِفُها البعض.

3. إنّ التداولية تتعَدَى وتتجاوز حُدُودَ الملفوظ المرسومة إلى أبعد من ذلك للوصول إلى المعاني والمفاهيم الضمنية الكامنة في الخطاب والعمليات التواصلية.

4. يحتوي القرآن الكريم على معاني ودلالات ضمنية غبر مباشرة مقترنة بالمعني الظاهري المباشرِ.

5. تحمل الأفعال الكلامية دلالات مختلفة في القرآن الكريم من تهديد ووعد ووعيد، وتبشير ونصح وإرشاد ...إلخ.

6. بآليات التحليل التداولي نستطيع الوصول إلى المعنى والمقاصد التي يحملها الملفوظ الخطابي القرآني.

7. يمكن الاسْتِعانة بالتداولية لفهم واستيعاب الدلالات الّتي يحملها ويسعى النص القرآني إلى تبليغها للمتلقين لهذا الخطابِ

8. للسياق دورًا هاما في تحديد مقاصد ومدلول الرسائل التخاطبية في التحليل التداولي للقرآن العظيم.

9. نسْتطيع بالتحليل والمفاهيم التداولية وأشْكالها اللسانية الاهتمام بالمقاصد الخطابية في كلام محكم التنزيل العظيمِ أي ما يقصده المُخَاطَبْ وما يفهمه المُخَاطِبِ(المتلقي).

10. احتوى كلام الله عزّ وجلّ في الآيات القرآنية على العديد من الأفعال الكلامية بمختلف صيغها.

11. جاء النهي في النص القرآني على شاكلة قوة إنجازية هي التحذير والوعد والوعيد.

12. يساهم عامل السياق بشكل كبير في الكشف عن المعاني الضمنية غير الظاهرة على سطح الملفوظ.

13. هناك العديد من الآيات الّتي تحمل في طياتها معاني في الظاهر بغير مدلوله الخفي.

14. يدّل الاستفهام في آيات القرآن العظيم بصيغة انكار وقوته الإنجازية هي الترغيب أو التحضيض والترهيبِ.

15. يوجد في القرآن الكريم آيات احتوت على الافتراض المسبق للمشاركين في الخطاب خاصة ما جاء في القصص القرآني لنجاح العملية التواصلية بين أطرافها.

16. توجد آيات تمّ فيها خرق مبدأ الاستلزام الحواري إمّا بالنقصان أو بالزيادة.

17. نلحظ من خلال التصفح والتمعن في القرآن العظيم أنّ هناك معنى مستلزم من كل آية.

وفي مسك الختام نطوي طيات البحث، وأنهي الحديثِ، فأسأل الله تعالى أنّ أكون قد وُفِقْتُ ولو بالشيءِ اليسير غير العسيرِ في توضيح وتسهيل وجه من أوجه وسرّ من أسرار محكم التنزيل القرآن العظيم، وأسأل الله انّ يُسددَ الهفوات والخلل الّتي أغفلت عليها أنظاري، فيبقى البيان (القرآن) روضةً من الرياضِ وبسْتان من البساتينِ كلّما قطفت منه ازدهر وازداد جمالا، فالباب مفتوحٌ لمن يأتي من بعدي ويسهب أكثر أو يصَوّبَ زلاتي وأخطائي، ويتدارك النقائص. وأسأل الله العافية والسداد والجمد لله ربّ العالمين.

قائمة المصادر

والمراجع

ثبت لقائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم. (رواية ورش)

2. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط، د ب، 1979م.

3. أبو الحسن بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، تح: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1991م.

4أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، د ط، بيروت، لبنان، د ت.

5. أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، د ط، بيروت، لبنان، د ت.

6. أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجه التأويل، دار المعرفة، ط3، بيروت، لبنان، 2009م.

7. أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري الخوارزمي، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت.

8. أسامة محمد إبراهيم البحيري، انغلاق البنية وانفتاحها في البنيوية والتداولية والبلاغة العربية ندوة الدراسات البلاغة، الواقع المأمول، جازان، 1433هـ.

9. أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، تر: عبد القادر قينيني، دار إفريقيا الشرق، د ط، د ب، 1991م.

10. براون ج يول، تحليل الخطاب، تر: وتح: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، دار النشر العلمي للمطابع، د ط، الرياض، السعودية، 1997م.

11. بهاء الدين محمد يزيد، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، تبسيط التداولية، دار شمس، ط1، القاهرة، نصر، 2010م.

12. بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، دار مؤسسة السياب، ط1، لندن، 2012م.

13. جان سيرفوني، الملفوظية، تر: قاسم مقداد، دار اتحاد الكتاب العرب، د ط، د ب، 1997م.

14. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، دار أمثال الحكمة، ط1ن سطيف، الجزائر، 2009م.

15طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، دار المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1998م.

16طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، دار المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2000م.

17. عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، دار الكتب الحديث، ط1، اربد، الأردن، 2009م.

18. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية، لآليات التواصل والحجاج، دار إفريقيا الشرق، د ط، المغرب، 2006م.

19ـ عمر سليمان الأشقر، شرح ابن القيم لأسماء الله الحسنى، دار النفائس، ط1، عمان، الأردن، 2008م.

20. فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، مر: مالك يوسف المطلبي، دار الآفاق العربية، ط1، بغداد، العراق، 1985م.

21. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، ط1، اللاذقية، سوريا، 2007م.

22. كاترين كيربرات، المضمر، تر: ريتا خاطر، مر: جوزيف شريم، د د، ط1، بيروت، لبنان، 2008م.

23. ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات التداولية، تر: عبد القاسم فهيم الشيباني، د د، ط1، سيدي بلعباس، الجزائر، 2007م.

24.محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار التونسية، تونس، 1984م.

25. محمد فخر الدين الرازي، الفخر الرازي التفسير بالتفكير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ط1، بيروت، لبنان، 1981م.

26. محمد متولى الشعراوي، أسماء الله الحسنى، بقلم محمد السنراوي، دار مطبوعات قطاع الثقافة، مطبوعات أخبار اليوم.

27.. محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب، ط1، بيروت، لبنان، 2004م

28. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، د ط، الإسكندرية، مصر، 2002م.

29. محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية(التداولية) المفاهيم والنشأة والمبادئ، دار مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، مصر، 2012م.

30. مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، د د، ط8، بيروت، لبنان، 2005م.

31. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب" دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، د ط، بيروت، لبنان، 2005م.

32. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، دار الآداب، د ط، القاهرة، مصر، 2003م.

33. نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، دار عالم الكتب الحديث، ط1، العبدلي، الأردن، 2009م.

34. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب" دراسة (دراسة معجمية)، دار غالم الكتب الحديث، ط1، عمان، الأردن، 2009م.

35. وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، ط10، دمشق، سوريا، 2009م.

فهرست

الموضوعات

فهرس الموضوعات

صفحة

. مقدّمة..... أ، ب، ج، د.

. تمهيد..... 5، 6.

. الفصل الأوّل ماهية التداولية وأبرز مجالاته..... **7**

. المبحث الأوّل: المفهوم المعجمي والاصطلاحي للتداولية..... 7

. المفهوم المعجمي..... 7،8.

. المفهومالاصطلاحي..... 9.10،

. التداولية عند علماء العرب المحدثين..... 11،16.

. التداولية عند علماء الغرب..... 17،18.

. التداخل المعرفي للتداولية مع العلوم الأخرى..... 19،20.

. المبحث الثاني:بين دلالة المضمر وآليات التحليل..... **21**.

. الضمنيات..... 21،23.

. المتضمنات القولية..... 24.

. الافتراض المسبق..... 24،26.

. الأقوال المضمرة..... 27.

. الاستلزام الحواري..... 28،31.

. الأفعال الكلامية..... 32،35.

. مفهومها..... 35.

. تقسيم أوستين للأفعال الكلامية..... 36،37.

. الأصناف..... 38،39.

. تقسيم سورل للأفعال الكلامية..... 39،42.

. الفصل الثاني: مقتضيات التضمينات ومجال تطبيقها في الخطاب القرآني... 42،121.

. توطئة..... 43.

المبحث الأوّل: مجال تطبيق الضمنيات في الآيي القرآني..... 44.

. الضمنيات..... 44،55.

. الافتراض المسبق..... 56،62.

. الأقوال المضمرة..... 63،66.

. المبحث الثاني:تطبيق الاستلزام الحواري في القرآن الكريم..... 67،89.

. قاعدة الكم..... 67.

. قاعدة الكيف..... 73.

. قاعدة الملائمة..... 78،82.

. قاعدة الجهة..... 83.

. المبحث الثالث: تطبيق الأفعال الكلامية وأهم دلالتها في محكم التنزيل... 90.

. أفعال الأحكام والقرارات..... 90،97.

. أفعال الممارسة..... 98،101.

. أفعال الوعد..... 102،110.

. أفعال السلوك..... 111،115

. أفعال العرض..... 116،121.

. خاتمة..... 122،124.

. قائمة المصادر والمراجع..... 125،128.

فهرست الموضوعات..... 129،132.